

العدد ١٠٩٤ - الاثنين ١١ ذوالقعدة ١٤٤٢هـ - الموافق ٢٠٢١/٦/٢١م

حقيقة الإصلاح

- التمسك بالقرآن والسنة
- إصلاح النفس وتزكيتها
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- الإخلاص والتجرد

أثر العلم الشرعي في تحقيق مصالح الأمة

دعوة للمشاركة الفعَّالة

رغبة في تطوير أداء مجلة



وخدمةً للإعلام الإسلامي الهادف، تدعو المجلة قراءها الأعزاء إلى مشاركتها في المساهمات الآتية:

- تقديم الاقتراحات والملاحظات.
- المقالات والأبحاث النافعة.

ويمكن التواصل مباشرة على:

هاتف: 97288994 (00965) (WhatsApp)

أو عبر إيميل المجلة: forqany@hotmail.com



قضايا شرعية وفقهية

تابع لجمعية إحياء التراث الإسلامي

مجلة الفرقان

أسبوعية - إسلامية - ثقافية - كويتية

تابعونا على مواقع التواصل الاجتماعي

twitter @al_forqan

الفرقان مجلة -كويتية -أسبوعية -شاملة

الفرقان

www.al-forqan.net

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾



الفرقان

مجلة إسلامية أسبوعية تصدر عن جمعية إحياء التراث الإسلامي

الفرقان ١٠٩٤ - ١١ ذوالقعدة ١٤٤٢هـ
الاثنين - ٢١/٦/٢٠٢١م

رئيس مجلس الإدارة
طارق سامي العيسى

رئيس التحرير
سالم أحمد الناشي

www.al-forqan.net
E-mail: forqany@hotmail.com

المراسلات

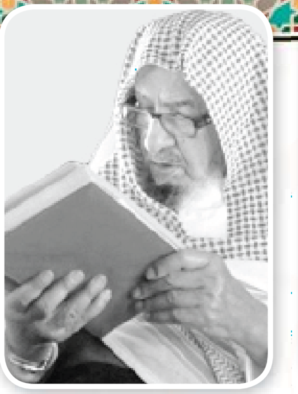
دولة الكويت
ص.ب ٢٧٢٧١ الصفاة
الرمز البريدي ١٣١٣٣
هاتف: ٢٥٣٦٢٧٣٣ (مباشر)
الخط الساخن: ٩٧٢٨٨٩٩٤
٢٥٣٤٨٦٥٩-٢٥٣٤٨٦٦٤ داخلي (٢٧٣٣)
فاكس: ٢٥٣٦٢٧٤٠

حساب مجلة الفرقان
بيت التمويل الكويتي
01101036691/2



طبعت في مطابع لاكي

في هذا العدد



الاشتراكات

الاشتراكات السنوية
- ١٥ دينارا للأفراد (أول مرة)
- ١١ دينارا التجديد لمدة سنة
- ٢٥ دينارا للمؤسسات والشركات داخل الكويت أو ما يعادل ١٠٠ دولارا أمريكيا لمثيلاتها خارج الكويت.
- ٢٠ ديناراً كويتياً (للدول العربية)
- ٣٠ ديناراً كويتياً (للدول الأجنبية)

وكلاء التوزيع
- دولة الكويت:
شركة الخليج للتوزيع
هاتف: ٢٤٨٣٦٦٨٠
: ٢٤٨١١٦٦٦

سعر النسخة في الكويت ٢٥٠ فلسا

السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٥٠ فلسا - قطر ٤ ريالات - سلطنة عمان ٥٠٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - المغرب ٥ دراهم - الإمارات ٤ دراهم



حقيقة الإصلاح

الإصلاح ضرورة لاستقامة الحياة والتأليف بين قلوب المسلمين، وتوحيد صفوفهم، وجمع كلمتهم على الحق امتثالاً لقول الله -تعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقوله -تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، فالإصلاح خير للفرد والمجتمع والأمة إذا تحققت سبله ووسائله القائمة على تحقيق العبودية لله -تعالى-، وإقامة الحق والعدل والإحسان، والأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر، وإحقاق الحق وإبطال الباطل ومحاربة الظلم والفساد، ومن سبل الإصلاح ووسائله التي إن تحققت، تحقق الإصلاح الذي ننشده:

التمسك بالقرآن والسنة

أول سبل الإصلاح التمسك بهدي القرآن والسنة، والوقوف عند حدود الله، قال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، فكل إصلاح لا يستند إلى أصل من كتاب أو سنة فمآله إلى الفشل؛ لأن الله أعلم بمصالح خلقه من أنفسهم، ومحمد -ﷺ- إنما بعث رحمة للعالمين، ومن رحمته بأمته أنه لا خير إلا دلها عليه، ولا شر إلا حذرها منه.

مناصحة المسلمين

ومناصحة المسلمين فيما بينهم نوع من الإصلاح، ومن تعاليم الدين الحنيف، كما قال -ﷺ- «الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

إصلاح النفس

وإصلاح النفس وتزكيتها مما أمرنا الله -تعالى- به في كتابه العزيز، ومن ذلك أيضا إصلاح مَنْ هم تحتَ أيدينا ممن لهم علينا حق الولاية والرعاية قال -تعالى-: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، ويقول النبي -ﷺ-: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وهذه المسؤولية مسؤولية عظمى، تقوم على أساس تقويم الأخلاق والسلوك، وتهذيب الأنفس، وسلامة الفكر مما يشوبه أو يغير مساره عن طريق الحق والصواب.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن سبل الإصلاح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن نوازع الشر والفساد إنما تكون بسبب تعطيل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتخاذ رؤوسا جهالا، والرسول -ﷺ- يقول: «من دعا إلى هدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة، ومن دعا إلى ضلال كان عليه وزره ووزر من عمل به إلى يوم القيامة».

الإخلاص والتجرد

والإخلاص والتجرد أساسان من أسس الإصلاح التي يقوم عليها، فهو ينطلق من قواعد وأسس شرعية ليست محلا للهوى، فهو ينطلق من منطلق شرعي في أدلته وأهدافه ومقاصده حتى يؤدي دوره الصحيح في التغيير إلى الأفضل، ومن الحسن إلى الأحسن، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن البدعة إلى السنة، ومن الظلم إلى العدل والإنصاف، فهذه طرقه المشروعة التي يجب تحقيقها والتأكيد عليها، كل بحسب قدرته وطاقته وفي حدود ولايته ومسؤوليته.

فمن أراد الإصلاح فلابد أن يكون وفق المنهج الشرعي، فإن الشريعة الإسلامية إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، وهذا هو المقصد العام من التشريع، ومن خرج عن هذا المنهج فقد حاد عن طريق الحق والصواب.



أخبار الجمعية

إدارة التربية والتعليم بقطاع التنمية الخيرية والمجتمعية تقيم:

دورة إعداد مدرب محترف للتدريب عن بعد

نظمت إدارة التربية والتعليم بقطاع التنمية الخيرية والمجتمعية الأحد ٢٠٢١/٠٥/٢٣ ولمدة أربعة أيام دورة تدريبية بالتنسيق مع مركز تكنولوجيا التدريب بعنوان: (إعداد مدرب محترف للتدريب عن بعد) د. صالح السعيد، وحضرها (٢٥) معلما ومعلمة، وقد تناول خلالها المحاضر أهم الشروط الواجب توافرها في المدرب، والمادة العلمية والوسائل المستخدمة لإعداد المدرب المحترف، وأنجزت خلال الدورة ورش تطبيقية وعملية تخص الموضوع، وفي نهاية الدورة كلف كل مشارك ومشاركة بعمل مشروع يقدمه للحضور وبوجود محكم خارجي لتقييم المشروع بندر الحسيني، وقد استفاد المعلمون من الدورة استفادة كبيرة من واقع عرض آرائهم في نهاية الدورة، وتمنوا تكرار مثل هذه الدورات المفيدة للمعلمين والمعلمات.

سمو أمير البلاد يشكر إحياء التراث على التعزية

أرسل صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله-، وسمو ولي العهد الشيخ مشعل الجابر الأحمد الصباح -حفظه الله- رسالة شكر لرئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي الشيخ طارق العيسى، ردًّا على برقية التعزية التي أرسلها العيسى باسم أعضاء مجلس إدارة الجمعية، في وفاة الشيخ منصور الأحمد الجابر الصباح، وعبر صاحب السمو عن تقديره وشكره للجمعية وأعضائها في مواساتهم وتعزيتهم لسموه.



حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

أكثر من مليون عبوة مياه مبردة وزعتها إحياء التراث لإطفاء لهيب الصيف

بحمد الله حققنا الهدف الأول لمشروع (سقيا الماء) داخل الكويت، بتوزيع مليون عبوة مياه مبردة، وفي العديد من المرافق، صرح بذلك نواف الصانع (مدير إدارة التنسيق والمتابعة والعمل التطوعي في جمعية إحياء التراث الإسلامي)، وقال: انطلاقاً من قوله -ﷺ-: «أفضل الصدقة سقي الماء»، تولي جمعية إحياء التراث الإسلامي اهتماماً كبيراً بمشاريع المياه، وذلك من خلال تنفيذها لمشروعين داخل الكويت هما: وضع برادات للمياه في العديد من الأماكن، ومشروع (سقيا الماء)، الذي توزع فيه المياه المعبأة والمبردة على المساجد والمستشفيات، وطلبة المدارس خلال فترة الامتحانات، والعمالة وفي الطرق وأماكن الحاجة، ولا سيما في فصل الصيف واشتداد الحرارة.

وأضاف الصانع أما خارج الكويت، فقد كان للجمعية نصيب وافر من الاهتمام بمشاريع المياه وتنفيذها في مختلف أنحاء العالم، ومشروع (حفر الآبار) هو أحد أهم المشاريع الحيوية الذي يلاقي قبولاً واسعاً عند المتبرعين، ويحتاج إليه الناس في المناطق النائية الفقيرة التي تعاني فقر المياه، وإن وجد فهو ملوث، ويسبب الأمراض والأوبئة، فضلا عن مشاريع أخرى خاصة بالمياه، كتوفير سيارات نقل المياه، وبناء خزانات المياه، وإنشاء برادات المياه في المناطق التي يعاني أهلها الجفاف وندرة مياه الشرب، ومد شبكات المياه، إلى غير ذلك من المشاريع.

وأوضح الصانع أن الجمعية -وحرصاً منها على إيجاد مصدر دعم دائم لتنفيذ مشاريع المياه والإنفاق عليها- طرحت وقف (سقي الماء)، وقيمة المساهمة فيه (١٠٠) دينار، وذلك ضمن المشروع الوقفي الكبير، الذي تديره الجمعية؛ حيث سيُتبرع من خلال عائد هذا الوقف سنوياً لهذا المشروع إن شاء الله، مع بقاء أصل التبرع محفوظاً صدقة جارية.

وفي ختام تصريحه دعا نواف الصانع المتبرعين الكرام بالاستمرار في دعم مشاريع المياه والتبرع لها، نظراً للحاجة الماسة للماء في مختلف أنحاء العالم، ولا سيما في أيام اشتداد الحرارة لمستويات قياسية.

(صيفنا على كيفك) و(إجازتي صيف سعيد ووقت مفيد)

صيف ثقافي ترفيهي حافل للنساء والفتيات في إحياء التراث

صيف ثقافي ترفيهي حافل للنساء والفتيات، أعلن عنه القطاع النسائي بالتراث من خلال الإدارات والفروع التابعة له، وتتميز هذه الفعاليات المتنوعة أنها تأتي بطريقة تتجاوز القيود التي تفرضها الظروف الحالية بسبب جائحة كورونا، وتطبيق الاشتراطات الصحية للمحافظة على صحة الجميع، مع السعي لتحقيق أكبر فائدة ممكنة، وذلك وفق نمط تعليمي ودعوي جديد تكون فيه وسائل التواصل والبث والنقل الالكتروني هي الأدوات الرئيسة فيه.

مركز حرائر للفتيات

وقد بدأ البرنامج يوم الخميس الماضي ٦/١٧ ببرنامج (جلسة فتيات)، الذي أقامه مركز حرائر للفتيات التابع لإدارة فروع العمل النسائي، وسيتضمن لقاء أسبوعيا بعنوان (تقارب)، كما سيتضمن فعاليات وأنشطة مختلفة كدروس في شرح اسم الله المهيمن، ودرساً عن (ملامح الحبيب ﷺ)، وفقرات أخرى متنوعة كفقرة المرح وفقرة الجمال وفقرة الكنز، وستكون جميع هذه الفعاليات عبر برنامج زووم اعتباراً من الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس الموافق ٢٠٢١/٦/١٧م، ويمكن التسجيل والمشاركة من خلال الرقم ٩٨٩٩٣٥٩٤.



نسائية الأندلس

كذلك ستبدأ إدارة فروع العمل النسائي مع بداية شهر يوليو القادم -إن شاء الله ومن خلال لجانها- برامج صيفية مكثفة وموجهة للعديد من الفئات العمرية، وستتضمن برامج وفعاليات وأنشطة مختلفة لاستغلال وقت الفراغ في العطلة الصيفية واستثماره فيما هو نافع ومفيد، ومن هذه البرامج المميزة نادي لينة الصيفي ويقيم برنامجاً صيفياً بعنوان: (صيفنا على كيفك) للفتيات من ٨-١١ سنة، وسيتضمن برنامج الدورة حفظ القرآن ودورة بعنوان: الله ربي، ودورة بعنوان: خلق وأدب، ودورة تعلم مهارة، وستكون جميع هذه الفعاليات التي تشرف عليها لجنة الأندلس النسائية عبر برنامج زووم ابتداء من يوم الأحد الموافق ٢٠٢١/٧/٤م؛ حيث ستكون الفعاليات كل يوم أحد وثلاثاء ابتداء من الساعة ٥:٣٠ مساءً.

نسائية العارضية

كذلك تقيم لجنة العارضية النسائية من خلال نادي لينة للفتيات برنامجها الصيفي (صيفك على كيفك)، الذي سيكون موجهاً للفئة العمرية من ١١-١٤ سنة، وسيتضمن أنشطة مختلفة كنشاط قرآني ونشاط قناتك ونشاط سُنتي ونشاط تحديات ونشاط آداب، وسيستمر البرنامج الصيفي لمدة شهر ونصف ابتداء من ٢٠٢١/٧/٥م وحتى ٢٠٢١/٨/١٨م يومي الاثنين والأربعاء أسبوعياً في الخامسة مساءً، علماً بأن التسجيل لهذا البرنامج متاح حتى آخر الشهر ٢٠٢١/٦/٣٠م.

نسائية الرميثية والسالمية

كما ستبدأ نسائية التراث بالرميثية والسالمية برنامجها الصيفي (إجازتي.. صيف سعيد ووقت مفيد) ببرامج عدة مثل اقرأ وارتق، وأنت نجمة اجتماعية، وحكاية، وزُخرف، ورسائل، ودُرر، وسيكون مخصصاً للفتيات من ١١-١٤ سنة، وسيكون البرنامج -إن شاء الله- يومي الاثنين والأربعاء في تمام الساعة ٥ مساءً، وتأتي مثل هذه البرامج والأنشطة حرصاً من الجمعية على الاستفادة من الوقت خلال الإجازة الصيفية لأبنائنا وبناتنا، واستثماره فيما هو نافع لهم في شتى المجالات.

شرح كتاب الزكاة من صحيح مسلم

باب: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا

الشيخ: محمد الحمود النجدي

عن أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ: بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ -رضي الله عنه- إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُ مِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ، فَاتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ، فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ، فَأُنْسِيتُهَا غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ» وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً؛ كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ، فَأُنْسِيتُهَا غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ× فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، الحديث رواه مسلم في الزكاة (٢/٧٢٥) وبوب عليه النووي: باب: لو أنَّ لابْنِ آدم واديين لابتغى ثالثًا.

أبو الأسود هو الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان البصري الكناني، ولد قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- وآمن به لكنه لم يره، فهو معدود في طبقة المخضرمين، صَحِب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ولاه إمارة البصرة في خلافته، وشَهِد معه وقعة صفِّين والجَمل، ومُحاربة الخوارج، وهو مِنْ ساداتِ التابعين وأعيانهم، وفقهائهم وشُعرائهم ومُحدِّثيهم، ومن الدُّهاة حاضري الجواب، وهو أيضًا عالمٌ نحوي، بل هو أول من وضع علم النحو، وشكّل أحرف المصحف، وكان ذلك بأمر من الإمام علي بن أبي طالب على ما ذكر، وقد وصفه الذهبي في ترجمته له في كتابه (سير أعْلام النبلاء) بقوله: «كان من وُجوه شيعة علي، ومِنْ أكملهم عقلاً ورأيًا، وكان مَعدودًا في الفقهاء، والشُّعراء، والمُحدثين، والأشْراف، والفُرسان، والأمراء، والدُّهاة، والنُّحاة، وحاضري الجواب، والبُخلاء، والصُلع الأشْراف». توفي سنة (٦٩) هـ.

بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ -رضي الله عنه- إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

قوله: «بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ -رضي الله عنه- إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ» أرْسل أبو موسى -رضي الله عنه- إلى أهل القرآن في مدينة



نهى الله تعالى المؤمنين أنْ يتشبَّهوا بالذين حُمِّلوا الكتاب قبلهم بدَّلوا كتاب الله ونبذُوه وراء ظُهورهم

كان النبيُّ ﷺ يُرشِدُ أصحابَه ويوجههم إلى عدمِ الحِرصِ على الدُّنيا وطُولِ الأمَلِ فيها

البصرة، فأتاه ثلاثمائة رجل، فأثْنى عليهم بما أكرمهم الله -تعالى- مِنَ الخير الذي هم فيه، وأنكم أفضلُ أهلِ البَصْرَةِ وأهلُ القُرآنِ فيهم، ثُمَّ أرشَدَهم بقولِه: «فَاتْلُوهُ» أي: فَاتْلُوا القرآنَ تِلاوةً مُستوفيةً لحُقوقها، وذلك يَستلزِمُ فَهْمَ معانيه، وتَدبُّرَ آياته، واتِّباعَ أحكامه، فأمرهم بتلاوة القرآن، ونهاهم عنْ الغفلة بطولِ الزمن بينهم وبين نبيهم -عليه الصلاة والسلام-، وعن الخلود إلى الدنيا ولذاتها، لئلا تقسُو قلوبُهم.

قال السيوطي في «شرح مسلم»: ولا يَطولَنَّ عليكم الأمدُ فتقسُو قلوبكم، أي: لا تَسْتطيبوا مدَّة البَقاء في الدنيا، فإنَّ ذلك مُفْسدٌ للقُلوب، بما يَجرّه إليها مِنَ الحِرص والقَسْوة، حتى لا تلينَ لذكْر الله، ولا تنْتفع بمَوعظة أو زَجْر»، والمراد بمَنْ قسَت قلوبهم: هم أهلُ الكتاب؛ كما قال الله -تعالى-: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد: ١٦).

النهي عن التشبه باليهود والنصارى

فنهى الله -تعالى- المؤمنين أنْ يتشبَّهوا بالذين حُمِّلوا الكتاب قبلهم مِنَ اليهود والنَّصارى، لمَّا تَطاول عليهم الأمَد، بدَّلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشْتروا به ثمناً قليلاً، ونبذُوه وراء ظُهورهم، وأقْبَلوا على الآراء المُختلفة، والأقوال المُؤتفكة، وقلَّدوا الرجال في دين الله، واتَّخذوا أحْبارهم ورُهبانهم أرْباباً مِنْ دون الله، فعند ذلك قَسَت قلوبُهم، فلا يَقْبلُون موعظة، ولا تَلين قلوبُهم بوعدٍ ولا وعيد، ثم قال -سبحانه-: {وكثيرٌ منهم فاسقون} أي: في الأعمال، فقلوبُهم فاسدة، وأعْمالهم باطلة، كما قال: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} (المائدة: ١٣)، أي: فسَدت قلوبهم فقسَت، وصار مِنْ سَجيَّتهم تَحْريف الكلم عنْ مواضعه، وتَركوا الأعْمال التي أمِروا بها، وارْتكبوا ما نُهُوا عنه، ولهذا نَهَى اللهُ المؤمنين أنْ يَتَشبَّهوا بهم في شيءٍ مِنَ الأمُور الأصْلية والفرعية. (انظر تفسير ابن كثير)، وروى شَداد بن أوس -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- قال: «أوَّلُ شيءٍ يُرفعُ مِنْ هذه الأمَّة الخُشوعُ، حتَّى لا تَرَى فيها خاشعًا». رواه الترمذي، والخُشوعُ معناه الخَشْيةُ والسَّكينةُ، والتَّواضُعُ لله -تعالى-، وإنما يذهب بالغفلة والاشتغال بالدنيا.

الحرص على عدم الاسْتكثار من المال

ثم نصحهم أبو موسى -رضي الله عنه- بعدم الحرص على الاسْتكثار من المال، واحتج في ذلك ببعض القرآن المنسوخ لفظه، الباقي معناه وحُكمه، فقال: «وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطُّول والشدة ببراءة، فأنسيتها» ثُمَّ قال أبو مُوسى: «غيرَ أنِّي قد حَفِظتُ منها: لو كان لابنِ آدَمَ واديانِ من مالٍ لَابْتَغَى واديًا ثالثًا، ولا يَمْلأُ جَوْفَ ابنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ» أي: غيرَ أنِّي ما زِلْتُ أَحْفَظُ من مَعاني هذه السُّورةِ ما فيه ذَمُّ الحِرصِ على الدُّنْيا وحُبِّ المُكاثَرَةِ بها والرَّغْبَةِ فيها، ومعنَى «لا يَملأُ جَوْفَهُ إلَّا التُّرابُ»: أنَّه لا يَزالُ حَريصًا على الدُّنْيا حتَّى يَموتَ ويَمْتَلِئَ جَوْفُهُ مِنْ تُرابِ قَبْرِه.

قوله: «فَأُنسيتُها»

قوله: «فأُنسيتُها، غيرَ أنِّي حَفِظْتُ منها: «يا أيُّها الذين آمَنُوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، فتُكْتَبُ شَهادَةً في أعناقِكم، فتُسأَلُونَ عنها يومَ القيامةِ»، وهذا وارد في قوله -تعالى-: {يا أيُّها الذين آمَنُوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون× كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (الصف: ٢-٣)، وقولُه -تعالى-: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} هو استفهامٌ على جهةِ الإنكارِ والتَّوبيخ، لِمَن يقول عن نفسه من الخيرِ ما لا يَفعلُه؛ إمَّا في الماضي فيكون كذَّابًا، أو في المستقبَلِ فيكون خُلْفًا، وكلاهما مذمومٌ، فتُكتَبُ شَهادةً في أعناقِكم، فتُسألونَ عنها يومَ القيامَةِ» أي: فستُكتَبُ عليكم هذه الأقوالُ مِنَ الكَذِبِ، وتُسأَلون عنها يومَ القيامة.

قال السيوطي: هذا من المنسوخ تلاوة، الذي أشير إليه بقول الله -تعالى-: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة: ١٠٦)، فكان اللهُ يُنْسيه الناس بعد أنْ حَفِظوه، ويمحوه من قلوبهم، وذلك في زمن النبي -ﷺ- خاصة، إذْ لا نسخ بعده، قال القرطبي: ولا يُتوهم مِنْ هذا أو شبهه: أنَّ القرآن ضاعَ منه شيءٌ، فإنَّ ذلك باطل، قال الله -تعالى-: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). انتهى.
وما ذكره هو نوعٌ من أنواعِ النَّسخِ، فإنَّ النسخَ على ثلاثة أنواع:
أحدُها: نسخُ الحُكم وبقاءُ التِّلاوَة.
والثاني: عَكسُه، وهو نسخُ التِّلاوةِ وبقاءُ الحُكم.
والثالث: نسخُ الحُكم والتِّلاوة.
والنسخُ ذَكره اللهُ -تعالى- في كتابه حيثُ قال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾. وكذلك قولُه -تعالى-: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (الأعلى: ٦-٧)، وهاتان السورتان ممَّا شاء الله -تعالى- أن يُنْسيَه بعدَ أن أنزلَه؛ والله -تعالى- فعَّالٌ لِمَا يُريدُ، قادرٌ على ما يَشاءُ؛ إذ كلُّ ذلك مُمكنٌ.

حفظ الله للقرآن الكريم

ولا يَتوهَّم مُتوهِّم من هذا وشَبهه أنَّ القُرآنَ قد ضاع منه شيءٌ؛ فإنَّ ذلك باطلٌ، بدليل قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وقالَ -تعالى-: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فُصِّلَت: ٤٢)، وبأنَّ إجماعَ الصَّحابةِ ومَن بعدَهم مِنَ المسلمين، انعقَد على أنَّ القرآنَ الذي تُعُبِّدْنا بتلاوَته وبأحكامه هو ما ثَبَت بينَ دَفَّتَي المُصْحَف، من غيرِ زيادة ولا نُقصانٍ، كما قُرِّر ذلك في أُصولِ الدِّين.

ذمّ الاستكثار من جمع المال

قوله: «لو كانَ لابنِ آدم واديان من مال، لابتغى وادياً ثالثاً» أي: أنه لو ملك مالاً كثيراً؛ لطلب الزيادة، ولتمنى مثله، وفيه ذمّ الاستكثار من جمع المال، وتمني كثرته، وقوله: «ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التُّراب» يعني أنه لا يَسدُّ بطنَه إلا التُّراب، ويدلُّ لذلك ما في رواية أُخرى: «ولا يَملأ بَطنه» وفي رواية أخرى: «ولا يَسُد بطنه» كذا قال ابن حجر، والمراد أنّه لا يشبع من المال وجمعه حتى يموت، فيُحشى بطنه من تراب القبر، قال النووي في شرح مسلم: «معناه أنّه لا يزالُ حريصاً على الدنيا، حتى يموتَ ويمتلئَ جوفه منْ تُراب قبره». قال: «وهذا خرجَ على حُكم غالبِ بني آدم في الحِرص على الدنيا».
قوله: «وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً؛ كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ» والمراد بـ«المسبحات» السُّور التي ذكر في أولها: سبح، ويسبح، وسبحان، وقوله: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ ذكر المفسّرون في تفسير سورة (الصف) أن المسلمين قالوا: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله -تعالى-، لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأنزل الله: ﴿إنَّ الله يُحب الذينَ يقاتلون في سَبيله صَفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ (الصف: ٤). فكره ذلك أُناسٌ وشقّ عليهم، فأنزل الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢). رواه الطبري عن ابن عباس وغيره، قال القرطبي: هذه الآية تُوجب على كل مَنْ ألزمَ نفسَه عملاً فيه طاعة؛ أنْ يفي بها، واستدل بحديث أبي موسى هذا الذي سأل عنه السائل، ثم ذكر القرطبي أن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ثابت في الدين لفظاً ومعنى، في هذه السورة يعني الصف، وأن قوله: «فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة» ثابت في الدّين معنى، فإنّ مَنْ التزم شيئاً، لزمه شرعاً.
ومثَّل القرطبي لذلك بالنَّذر والوعد، ثم ذَكر أن الوعد المُعلّق مثل قولك لشخص: إنْ تزوجت أعنتك بكذا؛ فيجبُ الوفاء به، وأن غيْرَه لا يلزمه، وفي المسألة خلاف بين العلماء، فمعنى قوله: (فتكتَبُ شَهَادَةً في أعْنَاقكم فتُسْألون عنها يومَ القيامة) أنَّ مَنْ الزم نفسه بشيء، تُكتب شهادةً منه عليه بذلك، وسيُسْأل عنه يوم القيامة.

إجماع الصَّحابةِ ومَن بعدَهم انعقَد على أنَّ القرآنَ هو ما ثَبت بينَ دَفَّتَي المُصْحَفِ من غيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ

طول الأمل في الدُّنيا مُفسِدٌ للقلوب بما يَجُرُّه إليها مِنَ الحِرْص والقَسْوَةِ فلا تَلِين لِذِكر ولا تَنتَفِع بِمَوعِظَة ولا زَجْر

فوائد الحديث

وفي الحديث: فوائد عدة منها:
- إرشادُ أبي مُوسَى الأَشْعَريِّ -رضي الله عنه- قُرَّاءَ مدينة البَصْرَة وتوجيههم، كما كان النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- يُرشِدُ أصحابَه، وانْصَبَّ التوجيهُ على عدم الحرصِ على الدُّنيا، وطُولِ الأمَلِ فيها.
- وحذَّرهم من طول الأمل في الدُّنيا، فإنَّ ذلك مُفسدٌ للقلوب بما يَجُرُّه إليها مِنَ الحِرْص والقَسْوَة، حتَّى لا تَلينَ لذِكرٍ، ولا تَنتَفِعَ بِمَوعظَة ولا زَجْر، كما أصابَتِ الأُمَمَ من قَبل لَمَّا طال أَمَلُهم في الدُّنيا.
- وفيه: الحرصُ على النَّصِيحَةِ لِقُرَّاءِ المسلمين وعلمائهم.
- وفيه: ذمُّ الحِرصِ على الدُّنْيا وطُولِ الأمَلِ فيها.
- وفيه: ذمُّ الكَذِبِ وتَفاخُرِ الإنسانِ بما لم يَفعَلْه.
- وفيه: أن ما يَتكلَّمُ به الإنسانُ يسأل عنه يومَ القِيامَة.

﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق؟﴾



د. أميـــر الحـــداد(*)
www.prof-alhadad.com

القرآن هو الكلام الذي أوحاه الله -تعالى- كلاما عربيا إلى محمد -ﷺ- بواسطة جبريل على أن يبلغه الرسول -ﷺ- للناس كافة، باللفظ الذي أوحي به إليه للعمل به، ولقراءة ما تيسر منه في صلواتهم، وجعل قراءاته عبادة، وجعله آية على صدق الرسول -ﷺ- في دعواه الرسالة عن الله إلى الخلق كافة، وتحدى منكريه خاصة، والإنس والجنس عامة، أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله أو بسورة واحدة، فلم يستطيعوا، وهم أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة، ويبقى التحدي، قائما على مر العصور، والدهور، ولكن المنطق يقول: إذا عجز أصحاب المعلقات، وأرباب اللغات فغيرهم لا شك أعجز!

والقرآن لا يتحدى المنكرين والمعارضين بجمال الألفاظ وبديع النظم وبلاغة الكلمات، فحسب، بل يتحداهم بالمنطق، والحجة ثم بالإهلاك والعذاب في الدنيا، ويبين مآلهم في الآخرة، وهم يعلمون أنهم آيلون إلى ذلك دون شك، ولكن لا يؤمنون!

ألم يخبر الله -عز وجل- أبا لهب (عم النبي -ﷺ-) أنه سيدخل النار هو وامرأته (أم جميل)، لماذا لم يؤمنا ليثبتا كذب القرآن؟! وهكذا مع كبار الكفرة، إبليس وفرعون، وقوم نوح، وقوم عاد ومن بعدهم.

- من الآيات التي تحدى بها الله -عز وجل- كل من يتخذ إلها مع الله، وكل من يعبد شيئا من دون الله، قديما ومستقبلا قوله -عز وجل-: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

كانت هذه مقدمة المحاضرة التي ألقاها الأستاذ الدكتور (أبو أنس) عن بُعد، وقد تجاوز عدد المشاركين ألفي متابع، وكنت وصاحبي نتابع المحاضرة في مكتبي، بعد صلاة المغرب.

بيّن الشيخ تفسير هذه الآية قائلاً: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النحل:١٧-٢١).

بعد أن أقيمت الدلائل على انفراد الله بالخلق ابتداء من قوله -تعالى-: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل:٣)، وثبتت المنة وحق الشكر، فرّع على ذلك هاتين الجملتين لتكونا كالنتيجتين للأدلة السابقة إنكارا على المشركين، فالاستفهام عن المساواة إنكاري، أي لا يستوي من يخلق بمن لا يخلق، وحين كان المراد بمن لا يخلق الأصنام كان إطلاق «من» الغالبة في العاقل مشاكلة لقوله أفمن يخلق.

فالاستفهام في قوله: ﴿أفلا تذكرون﴾ مستعمل في الإنكار على انتفاء التذكر، وذلك يختلف باختلاف المخاطبين، فهو إنكار على إعراض المشركين عن التذكر في ذلك.

لما عدد الآيات الدالة على الصانع ووحدانيته وكمال قدرته، أراد أن يوبخ أهل الشرك والعناد فقال: أفمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة، ويفعل هذه الأفاعيل العجيبة، كمن لا يخلق شيئا منها ولا يقدر على إيجاد واحد منها، وهو هذه الأصنام التي تعبدونها وتجعلونها شركاء لله -سبحانه؟ وفي هذا الاستفهام من التقريع والتوبيخ للكفار ما لا يخفى، وما أحقهم بذلك! فإنهم جعلوا بعض المخلوقات شريكا لخالقهم؛ فتعالى الله عما يشركون، أفلا تذكرون مخلوقات الله الدالة على وجوده وتفرده بالربوبية وبديع صنعته، فتستدلون بها على ذلك؟ فإنها لوضوحها يكفي في الاستدلال بها مجرد التذكر.

شرع -سبحانه- في تحقيق كون الأصنام التي أشار إليها بقوله: كمن لا يخلق عاجزة على أن يصدر منها خلق شيء؛ فلا تستحق عبادة، فقال: ﴿والذين يدعون من دون الله﴾ أي: الآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله -سبحانه- صفتهم هذه الصفات المذكورة، وهي أنهم لا يخلقون شيئا من المخلوقات أصلا لا كبيرا ولا صغيرا، ولا جليلا ولا حقيرا وهم يخلقون أي: وصفتهم أنهم يخلقون، فكيف يتمكن المخلوق من أن يخلق غيره؟ ففي هذه الآية زيادة بيان لأنه أثبت لهم صفة النقصان بعد أن سلب عنهم صفة الكمال، بخلاف قوله: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ فإنه اقتصر على مجرد سلب صفة الكمال.

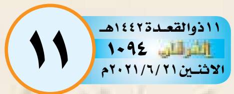
ثم ذكر ما لأجله أصر الكفار على شركهم فقال: فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية لا يؤثر فيها وعظ ولا ينجع فيها تذكير، وهم مستكبرون عن قبول الحق، متعظمون عن الإذعان للصواب، مستمرون على الجحد، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(النحل: ٢٣ قال الخليل: لا جرم كلمة تحقيق، ولا تكون إلا جوابا، أي: حقا أن الله يعلم ما يسرون من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون من ذلك.

والبعث: حقيقته الإرسال من مكان آخر، ويطلق على إثارة الجاثم.

ومنه قوله: بعثت البعير؛ إذ أثرته من مبركه، وقد غلب البعث في اصطلاح القرآن على إحضار الناس إلى الحساب بعد الموت، فمن كان منهم ميتا بعثه من جدثه.

وأيان اسم استفهام عن الزمان، مركبة من (أي) و(آن) بمعنى أي زمن؟ وهي معلقة لفعل يشعرون عن العمل بالاستفهام، والمعنى: وما يشعرون بزمن بعثهم.

(*) أستاذ في جامعة الكويت





الأحكام الفقهية من القصص القرآنية

الأحكام المستفادة من سورة الكهف

قصة موسى -عليه السلام- والخضر

د. وليد خالد الربيع

قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (سورة الكهف:٦٠)، قال الشيخ ابن سعدي: «يخبر -تعالى- عن نبيه موسى -عليه السلام-، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لفتاه - أي: خادمه الذي يلازمه في حضره وسفره، وهو «يوشع بن نون ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: لا أزال مسافرًا وإن طالت عليّ الشقة، ولحقتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحي إليه أنك ستجد فيه عبدا من عباد الله العالمين، عنده من العلم، ما ليس عندك، ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: مسافة طويلة».

وقد ذكر لنا النبي -صلى الله عليه وسلم- سبب هذه القصة، فقال: «إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ قال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. فقال موسى: يا رب، وكيف لي به؟» الحديث أخرجه البخاري، وفي هذه القصة القرآنية فوائد عديدة وأحكام كثيرة، نذكر منها ما يلي:

فضيلة العلم والرحلة في طلبه

فمنها فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، كما قال ابن العربي والقرطبي وغيرهما: «في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم، وذلك كان في دأب السلف الصالح»، فمن المسائل المستفادة من الآية الكريمة:

المسألة الأولى

حكم الرحلة في طلب العلم الشرعي

دلت الأدلة الشرعية والآثار السلفية على مشروعية الرحلة في طلب العلم الشرعي، كما تقدم في الآية الكريمة، وأخرج البخاري عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ أنه رَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ عن مسألة متعلقة بالزواج ودعوى الرضاع.

وأخرج البخاري عن أنس أنَّ ضِمامَ بنَ ثعلبة - وكان سَيِّدَ قومه بني سَعد بن بكر- جاء إلى المدينة لمُقابَلة النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-؛ ليَسألَه عن أركانِ الإسلامِ؛ ليرشد قومه بعْدَ رُجوعه.

وقال ابن حجر: «أَخْرَجَ الْبخاري في الْأَدَبِ الْمُفْرَد عن جابر قال: «بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ حَدِيثٌ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا ثُمَّ شَدَدْتُ رَحْلِي فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ»، وقال ابن مَسْعُود: «لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ».

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: «كُنَّا نَسْمَعُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَلَا نَرْضَى حَتَّى خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ فَسَمِعْنَا مِنْهُمْ». وروى أَبُو دَاوُدَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ رَحَلَ إِلَى فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ وَهُوَ بِمِصْرَ فِي حَدِيث.

وعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: «بَلَغَنِي حَدِيثٌ عِنْدَ عَلِيٍّ فَخِفْتُ إِنْ مَاتَ أَنْ لَا أَجِدَهُ عِنْدَ غَيْرِهِ فَرَحَلْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الْعِرَاقَ».

وقال سَعِيد بْن الْمُسَيَّب: «إِنْ كُنْتُ لَأَرْحَلُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِد».

وَقِيلَ لِأَحْمَدَ: رَجُلٌ يَطْلُبُ الْعِلْمَ يَلْزَمُ رَجُلًا عِنْدَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ أَوْ يَرْحَلُ؟ قَالَ: يَرْحَلُ يَكْتُبُ عَنْ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ فَيُشَافِهُ النَّاسَ وَيَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ».

طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ

ومن المعلوم أن طلب العلم الشرعي منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية،

طلب العلم الشرعي منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية ومنه ما هو مستحب

ينبغي لمن أراد الرحلة في طلب العلم ألا يضيع من يقوت ويعول من والدين وزوجة وأولاد

إن كان العلم المطلوب فرض عين ولا يمكن تحصيله إلا بالرحلة فطلبه واجب

ومنه ما هو مستحب، وحكم الرحلة في طلب العلم يختلف بحسب نوع العلم المطلوب وحال الطالب، فإن كان العلم المطلوب فرض عين ولا يمكن تحصيله إلا بالرحلة فطلبه واجب، والرحلة إليه واجبة بشروط، لقوله -تعالى-: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٢٢)، فَطَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ الرِّحْلَةَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وشرط ذلك خلو بلده ممن يعلمه ما يحتاج إليه، قال الخطيب البغدادي في الجامع: «الْمَقْصُودُ فِي الرِّحْلَةِ فِي الْحَدِيثِ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا تَحْصِيلُ عُلُوِّ الْإِسْنَادِ وَقِدَمِ السَّمَاعِ، وَالثَّانِي لِقَاءُ الْحُفَّاظِ وَالْمُذَاكَرَةُ لَهُمْ وَالِاسْتِفَادَةُ عَنْهُمْ. فَإِذَا كَانَ الْأَمْرَانِ مَوْجُودَيْنِ فِي بَلَدِ الطَّالِبِ وَمَعْدُومَيْنِ فِي غَيْرِهِ فَلَا فَائِدَةَ فِي الرِّحْلَةِ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فِي الْبَلَدِ أَوْلَى».

قَالَ أَبُو مُسْهِرٍ: «يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى عِلْمِ بَلَدِهِ وَعِلْمِ عَالِمِهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَقْتَصِرُ عَلَى عِلْمِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَمَا أَفْتَقِرُ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ».

متى تكون الرحلة لطلب العلم مستحبة؟

وتكون الرحلة مستحبة، إذا كانت لزيادة علم شرعي ليس بفرض عين وليس موجودًا في بلده، قال الخطيب البغدادي: «وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْأَمْرَانِ اللَّذَانِ ذَكَرْنَاهُمَا مَوْجُودَيْنِ فِي بَلَدِ الطَّالِبِ وَفِي غَيْرِهِ إِلَّا أَنَّ مَا فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَلَدَيْنِ يَخْتَصُّ بِهِ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ الطَّالِبُ عِرَاقِيًّا وَفِي بَلَدِهِ عَالِي أَسَانِيدِ الْعِرَاقِيِّينَ وَحُفَّاظُ رِوَايَاتِهَا، وَالْعُلَمَاءُ بِاخْتِلَافِهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ وَبِالشَّامِ مِنْ عُلُوِّ أَسَانِيدِ الشَّامِيِّينَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِأَحَادِيثِهِمْ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ فَالْمُسْتَحَبُّ لِلطَّالِبِ الرِّحْلَةُ لِجَمْعِ الْفَائِدَتَيْنِ مِنْ عُلُوِّ الْإِسْنَادَيْنِ وَعِلْمِ الطَّائِفَتَيْنِ لَكِنْ بَعْدَ تَحْصِيلِهِ حَدِيثَ بَلَدِهِ وَتَمَهُّرِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ بِهِ».

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ التَّمِيمِيُّ: «وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْحَدِيثِ وَمَنْ عُنِيَ بِهِ أَنْ يَبْدَأَ بِكَتْبِ حَدِيثِ بَلَدِهِ وَمَعْرِفَةِ أَهْلِهِ مِنْهُمْ وَتَفَهُّمِهِ وَضَبْطِهِ حَتَّى يَعْلَمَ صَحِيحَهَا وَسَقِيمَهَا وَيَعْرِفَ أَهْلَ التَّحْدِيثِ بِهَا وَأَحْوَالَهُمْ مَعْرِفَةً تَامَّةً إِذَا كَانَ فِي بَلَدِهِ عِلْمٌ وَعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ثُمَّ يَشْتَغِلُ بَعْدُ بِحَدِيثِ الْبُلْدَانِ، وَالرِّحْلَةِ فِيهِ».

وينبغي لمن أراد الرحلة في طلب العلم ألا يضيع من يقوت ويعول من والدين وزوجة وأولاد إن لم يكن لهم كفاية ولا من يقوم عليهم غيره، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت» رواه أبو داود وفي لفظ: «من يعول» وحسنه الألباني.

المسألة الثانية
حكم استئذان الوالدين في الرحلة لطلب العلم

لا شك أن طاعة الوالدين بالمعروف واجبة، وقد تكون الرحلة في طلب العلم واجبة كما تقدم، فهل يشترط إذنهما لذلك؟ ذكر العلماء لذلك تفصيلا ملخصه: إن كان في سفره خطر يخاف عليه من الهلاك فيجب أن يستأذن الوالدين؛ لأنه بمنزلة خروجه للجهاد، فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رد رجلا هاجر من اليمن لوالديه وقال له: أذنا لك؟ قال: لا، قال: «ارجع إليهما فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما».

وإن لم يكن في سفره خطر يخاف عليه من الهلاك، وخيف على والديه الضيعة؛ بأن كانا معسرين ونفقتهما عليه، وماله لا يفي بنفقتهما ونفقة سفره فإنه لا يخرج إلا بإذنهما.

وإن كانا موسرين فله أن يخرج بغير إذنهما إذا كان لطلب علم شرعي فرض عليه ولم يكن في بلده من يفيده، بشرط أن يكون طالب العلم أهلا لذلك ويرجى انتفاعه بسفره.

قَالَ الخطيب: «وَالطَّلَبُ الْمَفْرُوضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّمَا هُوَ طَلَبُ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَسَعُ جَهْلُهُ فَتَجُوزُ الرِّحْلَةُ بِغَيْرِ إِذْنِ الْأَبَوَيْنِ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِبَلَدِ الطَّالِبِ مَنْ يُعَرِّفُهُ وَاجِبَاتِ الْأَحْكَامِ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ قَدْ عَرَفَ عِلْمَ الْمُفْتَرَضِ عَلَيْهِ فَتُكْرَهُ لَهُ الرِّحْلَةُ إِلَّا بِإِذْنِ أَبَوَيْهِ».

قَالَ الخطيب: «وَإِذَا مَنَعَ الطَّالِبَ أَبَوَاهُ عَنْ تَعَلُّمِ الْعِلْمِ الْمُفْتَرَضِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ مُدَارَاتُهُمَا وَالرِّفْقُ بِهِمَا حَتَّى تَطِيبَ لَهُ أَنْفُسُهُمَا وَيَسْهُلَ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمَا.

سئل رجل الإمام أحمد فقال: «إِنِّي أَطْلُبُ الْحَدِيثَ وَإِنَّ أُمِّي تَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ تُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَشْتَغِلَ فِي التِّجَارَةِ» فَقَالَ: «دَارِهَا وَأَرْضِهَا وَلَا تَدَعِ الطَّلَبَ».

الشيخ البدر: من أسباب ثبات عقيدة السلف تمسكهم بالكتاب والسنة

ما زال الحديث مستمرًا عن محاضرة الشيخ عبدالرزاق عبدالمحسن البدر، عن أهمية العقيدة الإسلامية الصافيةِ النقيَّةِ المتلقَّاة من الكتاب والسُّنَّة، ومكانتها العالية الرفيعة في الدين؛ حيث أكد الشيخ أن منزلة العقيدة في الإسلام منزلة الأساس من البُنيان، والقلب من الجسد، والأصل من الشجر، قال الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم:٢٤).

الأمر الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة

وقد أفاض الشيخ فيه في المرة السابقة؛ حيث بين أن الاعتصام بالكتاب والسنة من أهم الأسباب التي أدت إلى ثبات عقيدة السلف.

الأمر الثاني: المعتقَد الحق

إنَّ الكتابَ والسُّنَّة مشتملان على المعتقَد الحقِّ؛ إذ لا نقصَ فيهما بأيِّ وجه من الوجوه، المعتقَد الحق بَيِّنٌ تمامَ البيانِ، وواضح كامل الإيضاح في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -ﷺ-، كما قال الله -تعالى-: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي: عقيدةً وعبادةً وسلوكاً ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾ (المائدة:٣)؛ فالكتاب والسُّنَّة بُيِّن فيهما كلُّ ما يحتاج إليه الناسُ ممَّا يتعلَّق بالاعتقاد، وما يتعلَّق بالعبادة، وما يتعلَّق بالمعاملة والأخلاق والسلوك، بل كما في الحديث الصحيح عن النَّبيِّ -ﷺ- أنَّه قال: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»؛ فلمَّا آمن أهل السُّنَّة إيماناً كاملاً، واقتنعوا اقتناعاً تامًّا بأنَّ دينَهم اعتقاداً وعبادةً وسلوكاً بُيِّن في القرآن والسُّنَّة غاية البيان، التزموا تَمامَ الالتزام، وعوَّلوا كامل التعويل على ما جاء في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -ﷺ-، ولم يحتاجوا أن يرجعوا في هذا الباب إلى غير ما جاء في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -صلوات الله وسلامه عليه-، فثَبَتوا تمام الثبات على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -ﷺ-، وتحقَّقت لهم بذلك السلامةُ التامَّةُ الكاملة.

بيان جَمِيعِ الدِّينِ أُصُولِه وَفُرُوعِه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- بَيَّنَ جَمِيعَ الدِّينِ أُصُولَهُ وَفُرُوعَهُ، بَاطِنَهُ وَظَاهِرَهُ، عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ؛ فَإِنَّ هَذَا الْأَصْلَ هُوَ أَصْلُ أُصُولِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ اعْتِصَامًا بِهَذَا الْأَصْلِ كَانَ أَوْلَى بِالْحَقِّ عِلْمًا وَعَمَلًا»، ويقصد بهذا الأصل: التعويل التَّامُّ والاعتماد الكامل على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -ﷺ-؛ لأنَّهما قد بُيِّن فيهما الدِّينُ كلُّه عقيدةً وعبادةً وسلوكاً، والدقائق اليسيرة المتعلِّقة بالآداب، كأدب قضاء الحاجة، وأدب الطهارة، وأدب المعاملة ونحو ذلك، بُيِّنت هذه الأمور في الكتاب والسنة غاية البيان؛ فهل من الممكن أن يُبَيَّن في الكتاب والسنة هذه الآداب الدقيقة ويُترك الاعتقاد دون أن يُبيَّن؟! هذا مُحالٌ، كما قال الإمام مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) -رحمه الله-: «مُحالٌ أن يكون النَّبيُّ -ﷺ- بيَّن لأمته

كلَّ شيءٍ حتى الخِراءةَ ولا يكون بيَّن لهم التوحيد »؛ ولهذا القرآن والسُّنة مشتملان على الخير كلِّه والهدى كلِّه والرشاد جميعه في العقيدة والعبادة والأخلاق، ولهذا حظُّ الإنسان من السلامة والاستقامة بحسب حظِّه من الاعتماد على كتاب الله وسنَّة نبيِّه -ﷺ.

الأمر الثالث: الرجوع إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف

الأمر الثالث من أسباب ثبات العقيدة في نفوس أهلها: أنَّ أهلَ السُّنَّة -بناءً على ما سبق- استقرَّ في نفوسهم أنَّهم في حال وقوع أيِّ نـزاع أو خلافٍ أو نحوِ ذلك لا يُعوِّلون على شَيء ولا يرجعون إلى شيء إلاَّ إلى كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -ﷺ-، وهم يعلمون علم اليقين أنَّ النـزاعَ والخلاف ونحـو ذلك لا يحل ويرفعُ الإشكال فيه إلاَّ بالاعتمادِ على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -ﷺ-، كما قال الله -تعالى-: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(النساء:٥٩)، وما من شكٍّ أنَّ مَن كان هذا شأنُه - معوِّلاً في الأمور التي قد يقع فيها خلافٌ بين النـاس على كتاب ربِّـه وسُنَّـة نبيِّه -ﷺ- فـإنَّ حليفه الثبات والسـلامة وعدم الاضطراب والتذبذب، فهم دائماً يُعوِّلون في أمور النزاع وفيما يختلف فيه الناسُ على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -ﷺ-، ومن المعلوم والمتقرَّر أنَّ كلَّ نزاع يقع أو خلاف يوجد لا حلَّ له بين الناسِ إلاَّ بالاعتماد على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -ﷺ-؛ لأنَّ الآراءَ متباينةٌ، والعقولَ مختلفةٌ، ووجهات النظر متباعدةٌ، فلا مجالَ لحلِّ النزاع ورفع الخلاف إلاَّ إذا عاد الجميعُ عودةً صادقةً ورجعوا رجوعاً حميداً إلى كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -ﷺ-؛ فهذا سببٌ عظيمٌ من أسباب ثبات أهل الحقِّ على الحقِّ.

الكتاب والسُّنة فيهما كلُّ ما يحتاج إليه الناسُ ممَّا يتعلَّق بالاعتقاد والعبادة والمعاملة والأخلاق والسلوك

الأمر الرابع: سلامة فطرتِهم

والفطرة نعمةٌ من الله -عز وجل- ومِنَّةٌ منه -تبارك وتعالى- على عباده، وهو -جلَّ وعلا- تفضَّل على عباده ومَنَّ عليهم بأن خلقهم جميعَهم على الفطرة، كما قال رسول الله -ﷺ-: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، فخلقَهم على الفطرة، وأهل السُّنَّة بقيت فطرتُهم سالِمةً لم تتغيَّر، حفظَها اللهُ لهم من التغيُّر والتبدُّل والانحـراف، وبقية الناس تلوَّثت فطرُهم، ولَحِقَها الانحراف بين مُقلٍّ ومستكثر، وفي الحديث القدسي يقول الله -تعالى-: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»، وفي القرآن الكريم يقول الله -تعالى-: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(الزخرف:٣٧)، فالشيطان وجندُه صرفوا الناسَ وحرَفوهم عن فطَرهم؛ ولهذا فإنَّ من أسباب الثبات أن يبقى الإنسانُ ثابتاً على الفطرة السليمة ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ فسلِمت لهم الفطرة وهذه نعمة عظيمة ومنَّة كبيرة حازها هؤلاء، وسلامةُ الفطرة مرتبطةٌ بسلامةِ المصدر؛ فإذا كان صاحبُ الفطرة السليمة مستنداً ومعتمداً على كتاب ربِّه وسُنَّة نبيِّه -ﷺ- فإنَّ فطرتَه لا تتبدَّل، وإن سَلَّمَ فطرتَه للأهواء المردية والشبهات المفسدة والآراء المنحرفة والتكلُّفات البعيدة ونحو ذلك تنحرف فطرته.

أهل السنة أَعْظَمُ النَّاس صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ وَإِنِ امْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمِحَنِ وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ

الأمر الخامس: صحَّة عقولهم

أهل السُّنَّة والجماعة أحسنُ الناس عقولاً وأسلمُهم رأياً وفكراً ومنهجاً، فعقولهم راجحة ليس فيها غلوٌّ أو جفاء كما هو الشأن في غيرهم من أهل البدع والأهواء، فأهل السُّنَّة ليس عندهم في العقول غلوٌّ كما ترونه واضحاً في أرباب الكلام والمتفلسفة ومَن لَفَّ لفَّهم وسار على منهجهم، تجده يُنحِّي الكتاب والسُّنَّة جانباً ويعتمد تَمام الاعتماد على عقله وفكره ورأيه، فما رآه صحيحاً بعقله اعتمده، وما رآه بخلاف ذلك تركه وإن كان قاله الله أو قاله رسول الله -ﷺ-؛ لأنَّ المعوَّلَ عندهم والعِبرةَ على ما توصَّلت إليه عقولُهم وآراؤهم، ومن المعلوم أنَّ عقولَ الناس ليست على عقل رجل واحد، ولهذا لَمَّا كان الاعتمادُ على العقل عند فئة من الناس كان ذلك سبباً لكثرة الانحراف وكثرة الآراء والمذاهب؛ لأنَّ العقولَ مختلفةٌ، كما قال بعضُ السَّلف: «لو كانت الأهواء هوىً واحداً لقيل إنَّه الحقُّ، ولكنَّها أهواء »، كذلك نقول: لو كانت العقولُ عقلاً واحداً لقيل إنَّه الحقُّ، ولكنَّها عقولٌ مختلفةٌ. وهؤلاء يُقدِّمون عقلَهم على ما جاء به الرسول -ﷺ- ويجعلون العُمدةَ العقلَ؛ فعليه يُعوِّلون، وقد ألزمهم أحدُ السَّلف قديماً بأن قال: من لازم قول هؤلاء أن يقول أحدُهم أشهد أنَّ عقلي رسولُ الله، بدلاً من أن

يقول أشهد أنَّ محمداً رسولُ الله -ﷺ-؛ لأنَّ المعوَّل والمعتدَّ عليه عنده عقله؛ فهذا جانب منحرفٌ في العقل، وهو جانب الغلوِّ في العقل ورفْعُه فوق مكانته.

جانب الجفاء

وهناك جانبٌ آخر في العقل وهو جانب الجفاء، وهذا يكثر في ضُلَّال المتصوِّفة وجُهَّالهم الذين يُنحُّون عقولَهم جانباً ثم يَدخلون باسم التصوُّف إلى أمورٍ يُسمُّون بعضها بالجذب أو الشطح أو الجنون أو نحو ذلك؛ فيقعون في أنواع قبيحة من الانحرافات لا يقبلُها عقلٌ ولا يرتضيها فكرٌ، ويأنَف منها كلُّ إنسان، يقعون فيها بسبب تنْحيتهم الكاملة للعقل، بينما أهل السُّنَّة - كما قدَّمت - عقولهم راجحة صحيحة، لا يتجاوزون بالعقل حدَّه ولا يُنحُّونه ويُلغونه، بل يضعون العقلَ في حدوده وأُطره المحدَّدة، وكما أنَّ سمعَ الإنسانِ له حدٌّ معيَّن لا يمكن أن يتجاوزه، وكذلك بصرَه وسائرَ حواسِّه فكذلك العقل، العقلُ له حدٌّ معيَّن، فمَن حاول أن يُقحِمَ عقلَه في غير حدوده ومجاله يضِلُّ كما ضلَّ أقوامٌ كثيرون؛ ولهذا صحَّت عقول أهل السُّنَّة والجماعة وسلمت من الانحراف؛ لأنَّهم أعمَلوها في حدودها المعيَّنة ولم يُهملوها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾(آل عمران:١٩٠) فهم أولو الألباب الصحيحة والعقول الراجحة؛ لأنهم وضعوا عقولَهم في حدِّها المحدود ومجالها المعيَّن دون غلوٍّ أو جفاء، أو إفراط أو تفريط، أو زيادة أو نقصان، فهذا أمرٌ عظيم كان من أسباب ثبات هؤلاء على الحقِّ.

الأمر السادس: اطمأنت نفوسهم بهذه العقيدة

الأمر السادس من أسباب ثبات عقيدتهم في نفوسهم وسلامتها: أنَّ نفوسَ أهل السنَّة اطمأنَّت بهذه العقيدة غايةَ الطمأنينة، فيشعر كلُّ واحد منهم براحةٍ في قلبه، وطمأنينة في نفسه، وأُنس وسعادة، بل وفرح ولذَّة بهذا المعتقَد الحقِّ الذي أنعم الله -تبارك وتعالى- عليه به، وهذا أمرٌ لا يَجده أيُّ صاحب هوى، وهيهات أن يَجده، والله -تبارك وتعالى- يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨)؛ ففي نفوسهم طمأنينة تامَّة وراحة عظيمة بهذا المعتقَد الحق الذي تلقَّوه من كتاب ربِّهم وسُنَّة نبيِّهم -ﷺ-، وفي هذا يقول ابن القيّم - رحمه الله - في كتابه الصواعق المرسلة: «سكونُ القلب إلى شيء ووثُوقه به، وهذا لا يكون إلاَّ مع اليقين، بل هو اليقينُ بعينه؛ ولهذا تَجد قلوبَ أصحاب الأدلة السمعية - يعني أهل السُّنَّة - مطمئنَّةً بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته واليوم الآخر، لا يضطربون في ذلك ولا يتنازعون فيه ولا يعرض لهم الشك عند الموت ولا

أهل السُّنَّة والجماعة أحسنُ الناس عقولاً وأسلمُهم رأياً وفِكراً ومنهجاً



يشهدون على أنفسهم ويشهدون على غيرهم بالحيرة والوقوف والشك».

أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّة وَالْحَدِيث فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَلَا صَالِح عَامَّتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِه وَاعْتِقَادِه، بَلْ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ اُمْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمِحَن وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَن، وَهَذِهِ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ».

نفوسُهم مطمئنَّة بالحقِّ

ويقول عبد الحق الإشبيلي -رحمه الله-: «واعلم أنَّ سوءَ الخاتمة - أعاذنا الله تعالى منها - لا تكون لِمَن استقام ظاهرُه وصلُح باطنُه، ما سُمع بهذا، ولا عُلم به ولله الحمد، وإنَّما تكون لِمَن له فسادٌ في العَقَد، أو إصرارٌ على الكبائر، وإقدامٌ على العظائم»؛ فهذا من الأسباب العظيمة التي أدَّت إلى ثبات أهل الحقِّ، مطمئنَّةً بالحقِّ نفوسُهم، ساكنةً به قلوبُهم، مرتاحةً تَمام الارتياح، فلماذا عنه يَعدلون؟ ولماذا لغيره يَطلبون؟ وهم به مطمئنُّون غاية الاطمئنان، مرتاحون غاية الارتياح.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾

د. أحمد حمود الجسار

لقد بَيَّنَ اللهُ -تعالى- لنا حدودَ شرعه، وأرسل إلينا رسولَه -ﷺ- ليبين لنا أوامرَ الله ونواهيَه، وقال فيما حده من الأوامر: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة ٢٢٩)، وقال فيما حده من النواهي: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة ١٨٧)، لأن من اقترب من المحرمات فإنه يوشك أن يقع فيها، كما قال في شأن هذه الكبيرة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء ٣٢)، فنهى عن كل ما يؤدي إلى الوقوع في هذه الكبائر، ونهانا عن الوقوع في الشبهات، احترازا من الوقوع في المحرمات.

قال رسول الله -ﷺ-: «إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُما مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ اسْتَبْرَأَ لدِينِه وعِرْضِه، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَعَ في الحَرامِ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فيه، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ مَحارِمُهُ» (متفق عليه).

وقد بين الله -تعالى- حدودَه في كتابه الحكيم، كما بينها رسوله الكريم -ﷺ-، وحذرنا من الوقوع في المحرمات أو الاقتراب منها، وذلك رحمة بنا لكي نتقي عذابه، قال -تعالى-: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٨٧)، وقال العزيزُ الحكيم -سبحانه-: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المجادلة ٣-٤)، وقال -تعالى-: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (الطلاق ١)، وقال -تعالى-: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢٣٠)، وقال -تعالى-: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة ٢٢٩)، فوصف من تعداها بأَنَّهُمْ ظالمون، لأَنَّهُمْ تجاوزوا ما حَرَّمَ اللهُ وَنَهَى عَنْهُ -سبحانه.

وقال -تعالى- محذرا من التعدي الأكبر لحدود الله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء ١٤). فَالْتَزِمُوا -عِبادَ الله- حُدُودَ الله، فإذا جاءكم الأمرُ الإلهي فأتوا منه ما استطعتم، وإذا سمعتم النهي فانتهوا، فإن اللهَ هو الخالقُ الذي له التدبير، الأعلمُ بما يصلح شؤونَ خلقه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك ١٤).

ومهما كثرت الذنوب وتراكمت العيوب، فإن الله يغفر الذنوب، جميعَها، صغيرَها وكبيرَها، فالمغفرة والرحمة وصفان لازمان، ذاتيان للرحمن جل جلاله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الزمر ٥٣-٥٥).

إن اللهَ -تعالى- قد خَلَقَ الْإِنْسَانَ بعدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَصَوَّرَهُ بقدرته تَصْويرا، فَجَعَلَهُ عاقلا سَمِيعًا بَصِيرًا. أَرْسَلَ إِلَيْهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتُبَهُ، وَهَدَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا. لَمْ يَخْلُقْنَا عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا سُدًى وَهَمَلًا؛ -تعالى- اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، قَالَ -تعالى-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون ١١٥ - ١١٦)، بَلْ خَلَقَنَا سُبْحَانَهُ لعبادته، وتَوْحيده وطَاعَته، وَإِخْلَاص الْعُبُودِيَّة لَهُ وحدَه، وَالْتِزَام حُدُوده، وَإِقَامَة شَرْعه، قَالَ -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦).

فاحفظوا -عبادَ الله- حدودَ الله، حَسْبَما أمركم الله، وبينه رسول الله -ﷺ-، فإنكم موعودون على ذلك ببشارة عظيمة من الله، القائل جل في علاه: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ١١٢).

الشيخ العصيمي:

أثر العلم الشرعي في تحقيق مصالح الأمة

إعداد: القسم العلمي بالفرقان (٢)

ما زال الحديث مستمرا عن محاضرة الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي التي تحدث فيها عن أثر العلم الشرعي في تحقيق مصالح الأمة؛ حيث بين أن المتكلمين لا يختلفون في المصالح في كونها: إيصال ما ينفع، وإن جعلوها تارة مصلحة، أو منفعة، أو لذةً، أو غير ذلك من الألفاظ المعبر بها عن تلك الحقيقة، فإن المصلحة عندهم هي إيصال ما ينفع إلى العباد.

الوجه الخامس: تحديد واجب العبد في تحقيق مصالح الأمة

فتلك المصالح يكون على الواحد منا واجب ينبغي أن يقوم به في تحقيقها، فقد ذكر لك -فيما سبق- أن من مصالح الأمة: ﴿الاكتفاء﴾؛ وهو بلوغ الكفاية في شد الاحتياج من مطعم أو ملبس أو مشرب أو مسكن، وجاء العلم ليبين لنا وظيفة من وظائف أولئك الذين يُعنون بهذا، فجعل الله -سبحانه وتعالى- من موارد الاكتفاء: الزكاة، وجعل المأمورين بها: الأغنياء، وبين وظيفتهم، ففي الصحيحين من حديث يحيى بن عبد الله بن صيفي، عن أبي عبير نافذ مولى ابن عباس، عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-؛ أن النبي -ﷺ- قال في حديث بعث معاذ إلى اليمن -بعد ذكر الصلاة-: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»؛ فبين الشرع وظيفة الغني في الزكاة، وأنه يجب أن يخرجها ويردها إلى أهلها، والمذكور منهم في الحديث: الفقراء.

الوجه السادس: تقسيم وظائف أفراد الأمة في تحقيق مصالحها

فتلك المصالح تحققها الأمة جمعاء، ولا يمكن أن يحققها واحد منهم، وقد جعل لكل واحد من الأمة وظيفة في تحقيقها ينبغي أن يقوم بها، وجاء الشرع الحكيم بذلك، قال -تعالى-: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (آل عمران: ١٠٤) وقال -تعالى-: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء:٨٣)، وقال -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢)، فالعلم حدد وظائف تحقيق تلك المصالح، وقسمها بين الأمَّة، فقد علمت سابقا أن من مصالح الأمة: القوة، ومن موارد هذه القوة: الجهاد، وقد أناط الشرع الحكيم الجهاد بولي الأمر، فهو وظيفه ولي الأمر، وفي الصحيحين من حديث أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -ﷺ- قال: «إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه، وتقى به»، ومعنى قوله -ﷺ-: «يقاتل من ورائه»: يعني يُصدر عن رأيه في أمر الجهاد، وجعلت وظيفة غيره أن يكون تابعا له، وعند أحمد بسند صحيح من حديث عبد الله



الأمَّــة مصــدر للتشــريعات معنىً باطل فدلالة الكتــاب والسنــة والإجمــاع علــى أن الحكــم لله

العلم الشرعي يبين أن المصالح وتحصيلها لا يكون دفعة واحدة وإنما يجيء تدريجيا

بن عون، عن نافع، عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: «وأما الرجل فلا يحمل على الكتيبة إلا بإذن إمامه».

الوجه السابع: التدرج في بلوغ مصالح الأمة

الوجه السابع تدريج الخلق إلى بلوغ مصالح الأمة وتحصيلها، فإن الوصول إلى تلك المصالح وتحصيلها -في الأفراد، أو في الأمة جمعاء- لا يكون دفعة واحدة، وإنما يجيء تدريجيا شيئا فشيئا، وجاء العلم ليهدينا إلى هذا الأصل، وأن تلك المصالح التي نؤمل الوصول إليها - من الصلاح، أو الخيرية، أو الجماعة، أو القوة - لا تجيء دفعة واحدة، وإنما تؤخذ شيئا فشيئا.

تزكية النفس

فما ذكر لك أولا من الصلاح وما يدخل فيه من تزكية النفس، تجد في الشرع الحكيم ما يبين لك التدريج في ذلك، ومنه: ما جاء في الصحيحين من حديث محمد بن عبد الرحمن (مولى بني زهرة)، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: «اقرأ القرآن في كل شهر»، قال: قلت: إني أجد قوةً، قال: «اقرأه في عشرين ليلة»، قال: قلت: إني أجد قوة، قال: «فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك».

فلم يبتدره النبي -صلى الله عليه وسلم- بأمره بقراءة القرآن في سبع، وإنما ابتدأه -صلى الله عليه وسلم- بأن يقرأ القرآن في شهر، ثم ذكر من طاقته ما ذكر، فأرشده النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى ما أرشده، فهذا من جملة ما يبين لك أن العلم يُدرِّج الخلق في تحصيل مصالح الأمة.

الوجه الثامن: الحكم على المصالح

الحكم على ما يعده العادون في مصالح الأمة، وبيان مواقعها من الشرع، فما ذكرته لك من نظام المصالح الثمانية هو مما جاء من استقراء الكتاب والسنة، وليس بمدفوع أن يجيء غيري بشيء يرده إلى الكتاب والسنة، ولكن المدفوع بالعلم أن تُدَّعَى مصلحة من مصالح الأمة ليست كذلك، فمن أثر العلم الشرعي: أنه يُفرِّق بين مصالح الأمة الثابتة شرعًا، والمصالح المدَّعاة.

فمثلا: من المصالح التي يلهج بها جماعة من المتأخرين في مصالح الأمة: ما يسمى بـ (سيادة الأمة)، ويفسرونه بتفسيرات مختلفة، فيها حق وفيها باطل، وأشهر تلك التفسيرات: أنهم يجعلون الأمَّة مصدرًا للتشريعات، وهو بهذا المعنى باطل لا محالة؛ فإن دلالة الكتاب والسنة والإجماع على أن الحكم لله، وأن ما رتَّبه الشرع في تنظيم هذه الأحكام هو الذي إليه المرد، وليس إلى ما يسمى بـ(سيادة الأمة).

الوجه التاسع: تمييز الوضع الشرعي لمصالح الأمة

فقد ذكرت لك من قبل أن من مصالح الأمة: العدل، وهذا دلت عليه آيات وأحاديث كثيرة، قال -تعالى-: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة:٨)، وقال -تعالى-: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل:٩٠)، وهناك آيات أخرى، وحقيقة العدل التي يدل عليها العلم: أنه إعطاء كل ذي حق حقه، فالعدل يدور على أصلين:

أحدهما: بذل حق لأحد.

والآخر: أن ذلك البذل يكون وفق حقه.

وليس في الشرع ما يسمى بـ (المساواة)؛ فإن المساواة تكون تارة عدلا، وتكون تارة ظلما، فمن ينسب إلى مصالح الأمة المساواة ويطلق القول فيها، فقوله باطل، ولا تجد في دلالة الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، والشرع تارة جعل الفضل للرجال، وتارة أخرى جعله للنساء في مسائل متعددة.

ليس في الشرع ما يسمى بالمساواة فإن المساواة تكون تارة عدلا وتارة ظلما

الوجه العاشر: الإحاطة بفقه النوازل المستجدة

الإحاطة بفقه النوازل المستجدة المتعلقة بمصالح الأمة، فالمصالح تتجدد للناس فيها النوازل، باعتبار ما يحدث في أزمانهم من أحوال تتغير بها أمورهم فيما يتعلق بدينهم أو دنياهم أو غير ذلك، فالعلم الشرعي يبين لنا كم تلك الحوادث والنوازل التي تتعلق بتلك المصالح!

فمثلا: إذا قيل: إن من مصالح الأمة: مصلحة العدل، ثم ذكر أن مما يتعلق بهذه المصلحة ما يسمى بـ (المشاركة الشعبية)؛ قيل: هذه المشاركة الشعبية تُرد إلى العلم، فيبين العلم هذه النازلة وفق دلالة الكتاب والسنة، وأن هذه المشاركة الشعبية كلمة فضفاضة؛ تارة تنحصر في واقع شرعي معتد به، وهو الشورى لأهل الحل والعقد، وتارة لا يُأبه بها إذا جعل الخيار حقا لكل أحد من صغير وكبير، وعاقل ومجنون، ورشيد وغير رشيد.

الوجه الحادي عشر: الفصل بين الحقائق المشتركة

الفصل بين الحقائق المشتركة لمصالح الأمة في الإسلام وغير الإسلام، فمن أثر العلم الشرعي أنه يُفصِّل لنا بين تلك الحقائق التي يشارك فيها الإسلام غيره مما يطلب فيه تحقيق تلك المصلحة، فما ذكر من مصلحة الاكتفاء، نجدها اليوم فيما يسمى بـ (المدرسة الرأسمالية)، ونجدها أيضا فيما يسمى بـ (المدرسة الشيوعية)، ولكن المدرسة الرأسمالية تجعل الاكتفاء حقا للفرد وتُغلّبه، والمدرسة الشيوعية تجعل الاكتفاء حقا للجماعة وتغلبها، وأما الإسلام فقد جاء بما يبين ملكية الفرد وملكية الجماعة، وحدد لكل أحد الأطر التي تنظم هذه العلاقة بينهم.



وقفات مع قول الله -تعالى: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾

د. محمد أحمد لوح

قال الله -تعالى-: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾، النصوص الواردة في الثناء على من حفظ لسانه متعددة منها قوله -تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون:١-٣)، وقوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان:٧٢)، وهي نصوص تدل على جسامة مسئولية الكلمة؛ قال -تعالى-: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:١٨)، وقال -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء:٣٦).

كذلك جاءت نصوص السنة النبوية محذرة من ذلك، وقال النبي -ﷺ-: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»، وقال -ﷺ- «إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلم»، وعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وعن سفيان بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال: «قل ربي الله ثم استقم» قلت: يا رسول ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا، يهوي بها سبعين خريفا في النار»، وعن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»، وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- مرفوعا: «أكثر خطايا ابن آدم في لسانه».

أهمية الموضوع

ولا شك أن أهمية هذا الموضوع تأتي من أنه مفتاح الحق وجامع الكلمة، والمؤلف بين القلوب؛ لأن من أقوى أسباب الاختلاف بين العباد الظلم والاعتداء وفقدان العدل والإنصاف، كما أنه لو جاهد المسلم نفسه لتحقيق صفة العدل على نفسه ومع الناس فإن كثيرا من المشكلات التي تحصل بين المسلمين سواء منها الفردية أم الجماعية ستزول وتحل بإذن الله، كذلك فإن سبب الانحراف عن الحق والإصرار على الباطل إما الجهل وإما الظلم، فالجهل علاجه العلم، والظلم علاجه العدل والإنصاف والقسط.

مسؤولية الكلمة

عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي -ﷺ- في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: لقد سألت عظيما وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة:١٦-١٧)، ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ الجهاد، ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى، فأخذ بلسانه فقال: «تكف عليك هذا، قلت يانبي الله، وإنا المؤاخذون بما نتكلم به؟ قال ثكلتك أمك يا معاذ! هل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟».

أهمية العدل مع الخصوم

وقد ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- أيضا أهمية العدل مع الخصوم والمفارقين لأهل السنة؛ حيث يقول: «وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق، ويرحمون الخلق، ويتبعون الرسول -ﷺ-، ولا



سبب الانحراف عن الحق والإصرار على الباطل إما الجهل وإما الظلم والجهل علاجه العلم والظلم علاجه العدل

العدل مع النفس يعني التزام العبد أوامر الله واجتناب نواهيه من غير إفراط ولا تفريط

يبتدعون، ومن اجتهد فأخطأ خطأ يعذره فيه الرسول -ﷺ- عذروه.. إلى أن قال: والله يحب الكلام بعلم وعدل، ويكره الكلام بجهل وظلم،... وقد حرم -سبحانه وتعالى- الكلام بلا علم مطلقا، وخص القول عليه بلا علم بالنهي؛ فقال -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، وقال -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وأمر بالعدل على أعداء المسلمين فقال -تعالى-: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

تعريف العدل ومنزلته في الكتاب والسنة

قال في لسان العرب: العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، عدل الحاكم في الحكم عدل عدلا، وهو عادل من قوم عدول.. وفي أسماء الله الحسنى (العدل) وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم.

والعدل: الحكم بالحق.

وكتب عبد الملك إلى سعيد بن جبير يسأله عن العدل فأجابه: إن العدل على أربعة أنحاء: العدل في الحكم، قال الله -تعالى-: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ والعدل في القول، قال -تعالى-: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾، والعدل في الفدية؛ قال -تعالى-: ﴿لا يقبل منها عدل﴾، والعدل في الإشراك، قال -تعالى-: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾، أي: يشركون.

العدل في القرآن الكريم

الآيات الواردة في ذكر العدل والحث عليه والتحذير من ضده كثيرة منها قول الله -عز وجل-: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران:١٨)، يعلق شيخ الإسلام على قوله -تعالى-: ﴿قائما بالقسط﴾، بقوله: «فإن الاستقامة والاعتدال متلازمان، فمن كان قوله وعمله بالقسط كان مستقيما، ومن كان قوله وعمله مستقيما كان قائما بالقسط، وهذا أمرنا الله -عز وجل- أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وصراطهم هو العدل والميزان ليقوم الناس بالقسط والصراط المستقيم هو العمل بطاعته وترك معاصيه، فالمعاصي كلها ظلم مناقض للعدل مخالف للقيام بالقسط والعدل».

كونوا قوامين بالقسط

ومنها قوله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٣٥) يقول الإمام ابن كثير في تفسيره هذه الآية: «يأمر -تعالى- عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، أي بالعدل، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين، يقول: ﴿شهداء لله﴾ كما قال -تعالى-: ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾، أي: أدوها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقا، خالية من التحريف والتبديل والكتمان، ولهذا قال: ﴿ولو على أنفسكم﴾، أي: اشهد بالحق ولو عاد ضررها عليك، وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ولو عاد ضرره عليك، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه، وقوله: ﴿أو الوالدين والأقربين﴾، أي: وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك، فلا تراعهم فيها، بل اشهد بالحق وإن عاد الضرر عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد، وقوله: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾، أي: لا تراعه لغناه، ولا تشفق عليه الفقره، فالله يتولاهما، بل هو أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما، وقوله -تعالى-: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا﴾، أي: لا يحملكم الهوى والمعصية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل الزموا العدل على أي حال كان.

ومنها قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨)، ومنها قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الأنعام:١٥٢)».

العدل في السنة النبوية

جاءت أحاديث عديدة تحث على العدل وتجنب الظلم والبغي، منها حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- أنه قال: «نحلني أبي نحلا»، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله -ﷺ-، فجاءه ليشهده على صدقتي فقال: أكل ولدك نحلت مثله ؟ فقال: لا. فقال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، وقال: إني لا أشهد على جور. قال: فرجع أبي فرد تلك الصدقة.

ومنها حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة».

ومنها حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا».

أقسام العدل

ينقسم العدل بحسب متعلقاته إلى الأقسام الآتية:

(١) التوحيد أعظم العدل

توحيد الله -عز وجل- لا شريك له أعظم العدل، ويقابل هذا القسم من العدل: أعظم الظلم، وهو الإشراك بالله -عز وجل-، والكفر به؛ حيث قال الله -عز وجل-: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣)، وقوله -تعالى-: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ (البقرة:٢٥٤).

(٢) العدل مع النفس

ويدخل في هذا العدل: قيامه بالأمانة التي كلفه الله -عز وجل- بها، وذلك فيما بين العبد وربه من الالتزام بأوامره واجتناب نواهيه من غير إفراط ولا تفريط، ويقابل هذا القسم من العدل: ظلم العبد لنفسه بارتكابه ما حرم الله - عز وجل مما هو دون الشرك، أو تركه ما أمر الله -عز وجل- مما يتعلق بنفسه، ولا يتعدى إلى غيره.

بعد ٤٣ عامًا قضاها مستشارًا لملوك السعودية

الشيخ ناصر الشثري في ذمة الله

بعد صراع طويل مع المرض، توفي الخميس قبل الماضي ٥ من ذي القعدة ١٤٤٢ هـ الموافق ١٨ من يونيو ٢٠٢١، المستشار في الديوان الملكي السعودي الشيخ ناصر بن عبدالعزيز أبو حبيب الشثري، عن عمر ناهز ٩٥ عاماً، والراحل هو ابن الشيخ العلّامة عبدالعزيز الشثري، ووالد الشيخ سعد الشثري (عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية والمستشار في الديوان الملكي).

نشأته

ولد الشثري عام ١٣٤٧هـ، في بلدة الرين، وترعرع في كنف والده العلامة عبدالعزيز أبوحبيب الشثري، أحد أبرز علماء السعودية في القرن الماضي.

عيّن الشثري مدرساً في المعهد العلمي عام ١٣٧٣، وانتقل في عام ١٣٨١ هـ إلى الحرس الوطني الذي أسس فيه الشؤون الدينية، وفي عام ١٣٩٩ هـ عين مستشاراً في الديوان الملكي بمرتبة وزير، وبقي في هذا المنصب لأكثر من ٤٣ عامًا حتى وفاته.

معاصرته للملوك

عاصر الشيخ ناصر الشثري عدداً من ملوك المملكة العربية السعودية، بدءاً من الملك خالد إلى الملك فهد، والملك عبدالله، وصولاً إلى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان؛ حيث تولى منصب المستشار في الديوان الملكي برتبة وزير، وكان -رحمه الله- يحظى بمكانة خاصة لدى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز-يحفظه الله-؛ حيث كرّر زيارة الشيخ ناصر مرات عدة للاطمئنان على صحته؛ حيث كان يعاني مرضًا منذ سنوات عدة، وكانت آخر زيارة عام ٢٠١٩، كما زار سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، الشثري هذا العام، لتهنئته بمناسبة عيد الفطر.

نبأ وفاته

وفور نبأ وفاته نعاه عددٌ كبيرٌ من رواد مواقع التواصل الاجتماعي؛ حيث نقل حمود الشثري ابن الشيخ الراحل نبأ وفاته، قائلا: إنا لله وإنا إليه راجعون، الوالد الشيخ ناصر الشثري في ذمة الله، مات طائعًا لربه، مُتبعًا سُنة نبيه، وفيا لمليكه، مُحبا لوطنه.

منصب الوزارة

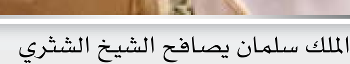
ويعد الشثري من أكثر الشخصيات التي بقيت في منصب وزير في المملكة؛ حيث عاصر خلالها عدداً من ملوك السعودية، وارتبط بعلاقة وثيقة معهم، كما كان الشخصية الأبرز في حل القضايا المحلية والاجتماعية والقبلية، ودأب الملوك والأمراء على زيارته.

شارك والده في معارك توحيد الجزيرة العربية

كما شارك والده في بعض

كان من شأنه المساهمة في نشر العلم والحرص عليه منذ صغره، ولذلك تتلمذ عليه عدد من العلماء والمشايخ




الملك سلمان يصافح الشيخ الشثري


الشيخ سعد الشثري يؤم المصلين في صلاة الجنازة على والده

كان حريصًا على التواصل مع أفراد المجتمع، وكذلك كان حريصًا على التعاون مع ولاة الأمر في كل ما يعود بالنفع والخير على الجميع

معارك توحيد الجزيرة مع حملة الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي ضد ابن عايض في أبها، ومعركة نجران ومعركة باقم، وهو أحد أبرز العلماء في القرن الماضي، وأحد رواد الحركة العلمية، ومن الذين تتلمذ على يديه الشيخ العلامة عبدالله بن جبرين، ووالده الشيخ عبدالرحمن بن جبرين، والشيخ صالح المطلق وقاضي قطر الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، وعرف عنه عمل الخير؛ حيث تبقى أبواب منزله مفتوحة لقضاء حوائج أفراد المجتمع وحل مشكلاتهم، وإصلاح ذات البين، والسعي فيما ينفعهم وينفع وطنه، وكان مجلسه حلقة وصل فعالة بين أطياف المجتمع والحكومة.

كلمة الشيخ سعد الشثري في وفاة والده

تحدث الشيخ سعد بن ناصر الشثري عن وفاة والده قائلاً: بفضل الله -عز وجل- عليه أن جعله الله مفتاحًا للخير وسببًا من أسباب درء كثير من الأمور غير المستحسنة، فقد حرص على نفع المسلمين وقضاء حوائجهم في مختلف أوقاته ليلاً ونهارًا، فقد فتح بابه للجميع يستقبلهم ويحرص عليهم بسُفرة ممدودة، وكلام جميل وأخلاق فاضلة، وكان من شأنه المساهمة في نشر العلم والحرص عليه منذ صغره، ولذلك تتلمذ عليه عدد من العلماء والمشايخ الذين عرفوا، من أمثال الشيخ أبي جبرين وغيره، وكان له من المساهمات الكثيرة من أعمال الخير والحرص على تقديم النصح للكبير والصغير، وكان له بصمات جميلة في الجمعيات الخيرية، وكان حريصًا على التواصل مع أفراد المجتمع، وكذلك كان حريصًا على التعاون مع ولاة البلاد في كل ما يعود بالنفع والخير على الجميع، لذلك فإن المرء يسعد بهذه السيرة العطرة الذي قدمها -رحمه الله- وأسكنه فسيح جناته، وإنَّ مما يسلي الخاطر، ويبعد الحزن، ذلك التجاوب الكبير من أفراد المجتمع في وسائل التواصل الاجتماعي في الثناء عليه والدعاء له، وذكر عدد من القصص التي كانت بينهم وبينه مما لم نكن نعرفه قبل ذلك، وكذلك مما يخفف الحزن والمصاب تعزية خادم الحرمين الشريفين واتصاله وحرصه وسؤاله، وكذلك أمراء الأسرة وكبار المسؤولين، والتعزية التي نتلقاها من إخواننا على الوسائل المتعددة، سواء من داخل هذه البلاد أم من خارجها فجزاهم الله خيرًا على حرصهم.



من درر الأعلام

إعداد: وائل رمضان

العناية بالشخصية المسلمة

الشيخ: عبدالله السبت - رحمه الله

في عصرنا هذا تتنازع شباب الأمة أمور شتى، ودعاة يدعونهم للضلالة، ويجملون لهم طريق الغواية؛ ليحرفوهم عن الجادة، والسلف قد عنوا عناية خاصة بالشخصية المسلمة تعليمًا وتربية، وقد تنكب القوم عن دربهم، فكانت النتيجة التي نشاهد آثارها، ولذلك كان لزامًا العناية بالشخصية المسلمة.

والناظر لشخصية الأمة اليوم يرى تباينًا في شخصيتها، وصدق الله إذ يقول: {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ} الآية.

من تَخبَّطه الشيطان

من الأمة من تخبطه الشيطان، فاتخذ لنفسه ثوبًا غير ثوب الإسلام، نسجه بالبدع والخرافة، وخاطه بالهوى والانحراف، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ومنهم من تتصارعهم مذاهب شتى، فشخصيتهم إسلامية، ولكنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا.

ومنهم من أصّل لنفسه منهجًا مغايرًا للهدي النبوي الشريف تنطعاً، فهو لا يعرف إلا منهجه ودليله: «خالف تعرف»، وهو لا يعرف إلا أسلوب القهر والانفراد بالرأي، وفرض مبدأ القمع باسم الإسلام.

أصحاب الفكر المستنير

ومنهم من يدعي أنه من أصحاب الفكر المستنير، فيدعون إلى الحوار وتجديد الفكر الإسلامي في إطار حرية الفكر والتعبير؛ لصياغة واقع حضاري يواكب معطيات العصر دون الانقطاع عن قيم التراث، وهم والله كاذبون ويتلاعبون بالألفاظ والمصطلحات، ويدّعون فقه الواقع، والحقيقة أنهم يهدمون أكثر مما يبنون، ويذوبون أكثر مما يتميزون، وهم أجهل الناس بفقه الواقع، {مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ}.

الانتساب لمنهج السلف

ومنهم من انتسب إلى منهج السلف (منهج الصحابة)، وحُقّ له الانتساب، واتخذوهم قدوة لهم يهتدون بهديهم، ويسيرون على طريقتهم، أليس الصحابة هم أعلم الناس بسنة نبيهم - ﷺ - وهديه وأخلاقه وغزواته وما يتصل به؟ قال -تعالى-: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}، وقوله - ﷺ - لما سئل عن الفرقة الناجية: من هي يا رسول الله؟ قال: «الجماعة». وفي رواية «ما أنا عليه وأصحابي»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً».

لهذه الأمة شخصية واضحة

فإن الله -سبحانه وتعالى- لما أرسل رسوله - ﷺ - أراد -جل وعلا- أن تكون هذه الأمة أمةً مميزة ظاهرة بارزة تخالف الأمم كلها في كل شيء، أراد أن تكون لهذه الأمة شخصية واضحة، ولذلك كان من حرصه -صلوات الله وسلامه عليه- مخالفة اليهود والنصارى والمشركين في كل شيء، حتى قالت

اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، كما في حديث أنس -رضي الله عنه- أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي -ﷺ-، فأنزل الله -تعالى-: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ الآية، فقال رسول الله -ﷺ-: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» الحديث، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله -ﷺ-، حتى ظننا أنْ قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن النبي -ﷺ-، فأرسل في آثارهما، فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما.

المخالفة في كل شيء

فالمخالفة لهؤلاء في كل شيء: في الصلاة، في النعال، وفي فرق الشعر، حتى في هيئة اللباس، وذلك لتكون هذه الأمةُ أمةً مميزة، وهذا التميز لا يرضى عنه أعداء الله، ولذلك وضع الله -عز وجل- لنا القاعدة الثابتة، فقال -تعالى-: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾، فلا تصدق أن اليهود والنصارى سيرضون عنك في يوم من الأيام، إلا أن تكون مثلهم، أما هم فلا يمكن أن يكونوا مثلك إلا إذا أسلموا، فمن جاملك من اليهود والنصارى أو المشركين؛ فإنما هو يجامل لإفساد دينك، وأما الرضى عنك فلن يكون.

الصحابة تربوا على التميز

والصحابة - رضوان الله عليهم - تربَّوا على التميز، فوجدت في الأمة شخصية مميزة يعرف بها المسلم في كل شيء: في حياته، في أكله، وفي شربه، وفي لباسه وبيته، فهو مميز، وهذه الشخصية السنية حافظ عليها الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-، وحافظ عليها من تبعهم من أئمة الدين.

خواطر تربوية وشرعية

شخصية المعلم الذاتية



الشيخ جاسم محمد المسباح

تعد مهنة التعليم من أشرف المهن التي يزاولها الإنسان، فأهميّتها لا تقلّ أبداً عن أي تخصص آخر أو مهنة أخرى، فالمعلم هو الشخص الذي ينشئ أجيالا واعدة متعلمة ومثقفة، لذا فإنّ تأثيره على المجتمع كبير جدًا من خلال التأثير على عقول ذلك العدد الكبير من الطلاب، فالمعلم قبل أن يعطي علمه لتلاميذه فهو أيضاً يعلّمهم الأخلاق الحميدة، ويهذب طباعهم، ويجعل منهم أشخاصًا ذوي هدف سام في هذه الحياة، وينير عقولهم ليفكروا بطريقة صحيحة وإيجابية، كما أنّ المعلّم يولد الأمل لدى طلابه ويجعلهم أكثر يقيناً بأنّهم بناة المستقبل.

من هنا فالمعلم ينبغي أن يحرص على أن يكون صاحب رسالة وليس صاحب مهنة، صاحب رسالة يستشعر عظمتها، ويؤمن بأهميتها، ولا يضن في أدائها بغال ولا رخيص، ويستصغر كل عقبة دون بلوغ غايته من أداء رسالته.

ويكفي المعلم فخرًا أنه حامل أعظم رسالة متمثلاً بأعظم شخصية وهو رسولنا الكريم محمد بن عبد الله -ﷺ- الذي اختير من الخلائق ليحمل الرسالة ويعلم العالم، فالمعلم يقتدي بالرسول -ﷺ- حين يكد ويتعب من أجل توصيل المعلومة وتوصيل الرسالة، ويكفي شرفاً للمدرس أن الملائكة وأهل السماوات والأرض وحتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليستغفر لمعلم الناس الخير.

من هنا فإن الفرق بين المعلم صاحب الرسالة والمعلم صاحب المهنة فرق كبير، فالمعلم صاحب الرسالة يكون مخلصًا محتسبًا قوله وسكناته وحركاته لله -تعالى-، ولهذا ينظر الطلبة لهذا المعلم ملاحظين مدى تطابق أقواله مع أفعاله، ومدى انضباطه، لذلك لابد أن يكون قدوة لهم في كل شيء في حسن التصرف، وفي تحمله للمسؤولية، وفي معرفته من يخاطب؟ فعندما أخاطب مثلا طلابا لابد من معرفة خصائص المتعلمين العقلية، والنفسية، والروحية، والجسدية، ومخاطبة طلاب مثلا في سن الحضانة غير الابتدائي غير المتوسط غير الثانوي غير الجامعي غير عامة الناس، فإذا لابد للمعلم أن يراعي المراحل العمرية للطلاب، كما عليه أن يراعي نفسيتهم، وطبائعهم، فيكون كالطبيب الذي يداوي الناس ويعطي لكل داء دواءه، وعلى المعلم أن يكون بشوشا غير عابس، سهلا وسمحا ومتواضعا، يتسع قلبه للجميع، ومتحليا بالصبر والحلم والتؤدة، وهو مع ذلك يجب أن يكون حازما وشديدا إذا تطلب الأمر ذلك، ولكن في غير قسوة؛ إذ لا تتعارض الصرامة والحزم مع المعاملة بتقدير واحترام للطلاب، وخلق جو محفز على التعلم، وغرس الحب في نفوس الطلاب؛ فالطلاب لا يحترمون المعلم المتشدد، كما أنهم لا يقدرون المعلم المتساهل جدا، فينبغي أن يكون المعلم وسطا: حازما في غير عنف، سهلا في غير ضعف، وذلك بحسب المواقف.



خطبة المسجد النبوي

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾

جاءت خطبة الحرم المدني بتاريخ ١ من ذي القعدة ١٤٤٢هـ - الموافق ٢٠٢١/٦/١١م للشيخ علي بن عبدالرحمن الحذيفي متحدثة عن خلق الله -تبارك وتعالى- للكون وأنه لم يخلقه عبثًا، وأن المؤمنين جعلوا هذا الكون زمانًا ومكانًا للطاعات، وتحقيق تقوى الله -عز وجل- بالتقرب إليه بما يرضيه، وهجر ما يغضبه ويؤذيه.

وأكد الشيخ الحذيفي على ضرورة أن يكون المسلم ممن سَلَك سبل النجاة، ولا يكون ممن سَلَك سبل العصاة، قال الله -تعالى-: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا﴾. وقال -تعالى-: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

تسخير الله الكون للمخلوقين

ثم بين الشيخ الحذيفي أن الله خلق هذا الكون، وأودع فيه كل ما يحتاجه المكلفون من أرزاق ومتاع وزينة ومال ودواب وغير ذلك، وذلّل هذا الكون وسخره كله لمصالح الخلق ومنافعهم وقيام حياتهم إلى أجل مسمى عند الله لا يعدوه، قال -سبحانه-: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾. وقال -تعالى-: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. وقال -سبحانه- : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وقال -عز وجل-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وقال -سبحانه-: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾. وقال -عز وجل-: «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها».

لم يخلق الله هذا الكون عبثا

وإذ قد خلق الله هذا الكون في كماله وجماله وفي وفائه التام بمقومات الحياة كلها لكل من على الأرض، وفي كثرة منافعه وتنوعها، وفي تسخير الأسباب لبقاء الحياة ورقيّها، أخبر ربنا -عز وجل- بأنه لم يخلق هذا الكون عبثا، ولم يتركه سدى، ولم يجعله مهملا. قال -سبحانه-: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾. وقال -سبحانه-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾. وقال -عز وجل-: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾. وقال -عز وجل-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾. وقال -عز وجل-: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾. وقال -عز وجل-: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾. وقال -عز وجل-: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾. وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾.

لم يَكِل الله الخلق إلى غيره

ولم يَكِل الله الخلق إلى غيره، بل خلق هذا الكون المشاهد للحق وهو التوحيد والطاعات كلها، والصلاح والإصلاح للأرض، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

إصلاح الأرض بالطاعات

وقد أرسل الله الرسل وآخرهم سيدهم محمد -ﷺ- لإصلاح الأرض بالطاعات، وتطهيرها من الشرك والموبقات، قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. وقال -سبحانه-: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي بعد إصلاح الرسل لها بالكتب المُنَزّلة. وقد أمر الله -سبحانه- المرسلين -عليهم الصلاة والسلام- بالتمتع بما أحل الله في الحياة من الطيبات،

لا يحقر المسلم من الطاعات شيئا، فلا تدري أي عمل تدخل به الجنة، وتنجو به من النار

أرسل الله الرسل وآخرهم نبينا محمد ﷺ لإصلاح الأرض بالطاعات وتطهيرها من الشرك والموبقات

وأن يداوموا على الطاعات التي لا تصلح الأرض إلا بها. قال -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}. وأتباع الرسل -عليهم الصلاة والسلام- المؤمنون المأمورون بالاقتداء بهم في قوله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}. وقال -سبحانه-: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، فالرسل -عليهم الصلاة والسلام- وأتباعهم المؤمنون جعلوا هذا الكون مكانًا وزمانًا للصالحات والإصلاح؛ ففازوا بالخيرات والجنات. والأعمال الصالحات تعود كلها إلى نفع النفس ونفع الخلق بالقيام بأركان الإسلام، وبقية الطاعات تابعة لهذه الأركان.

لا تحقرن من المعروف شيئًا

ثم أكد الشيخ الحذيفي ضرورة ألا يحقر المسلم من الطاعات شيئا، فلا تدري أي عمل تدخل به الجنة، وتنجو به من النار. عن جابر -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «لا تحقرن من المعروف شيئا وإن من المعروف أن تلق أخاك بوجه طلق» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره فشكر الله له فغفر له» رواه البخاري ومسلم. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- «أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم يطوف ببئر أدلع لسانه من العطش فنزعت له خفها وملأته ماءً فشرب فغُفِرَ لها» رواه البخاري ومسلم. قال الله -تعالى-: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}.

الكون زمان ومكان للطاعات

فالمؤمنون اتخذوا هذا الكون زمانا ومكانا للطاعات، وأما من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وكفر بالله فاتخذ هذا الكون زمانا ومكانا للشهوات المحرمات، والمتع الزائلة، واقترف السيئات، وأعظم السيئات الشرك بالله بأن يتخذ العبد مخلوقا يدعوه ويرجوه ويتوكل عليه ويستعين به ويستغيث به، ويرفع إليه المطالب والحاجات، ويرغب إليه في الرزق والنصر، ويهتف به في كشف الشدائد والكروبات، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله -سبحانه- إلا بالتوبة، قال الله -تعالى-: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}. وقال -تعالى-: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}. وعن أبي الدرداء مرفوعا قال الله -تعالى-: «إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلُق ويُعبد غيري، وأرزُق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرّهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بالنِّعم ويتبغّضون إليّ بالمعاصي» رواه الطبراني في مسند الشاميين، والحاكم في التاريخ، والبيهقي في الشُّعَب.

كبائر الذنوب

وتأتي كبائر الذنوب في عِظَم الإجرام بعد الشرك بالله بحسب مفسدة الذنب، وكل معصية ظَلم بها العبد نفسه بينه وبين الله وتاب منها غفرها الله له، أما المظالم بين العباد فلا يغفرها الله حتى يُعطي المظلوم حقه يوم

المؤمنون اتخذوا الكون زمانا ومكانا للطاعات وأما الكافرون فاتخذوه زمانا ومكانا للشهوات والمحرمات

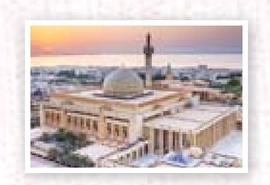
لا درهم ولا دينار وإنما هي الحسنات، يُعطى المظلوم من حسنات من ظلمه فإن فنيت حسناته أُخِذ من سيئات المظلوم فطُرِحت على من ظَلَم ثم طُرِحَ في النار. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء منه فليُحلله منه اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخِذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» رواه مسلم والترمذي. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء التي نطحتها» رواه مسلم.

ولو سَلِم أحدٌ من استيفاء الحقوق في المظالم لسَلِم المؤمنون الأبرار من استيفاء حقوق المظالم بينهم، عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «يَخلُص المؤمنون من النار بعد عبورهم الصراط فيُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيُقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذِّبوا ونُقّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» رواه البخاري.

احذروا الذنوب!

وختم الشيخ خطبته بالتحذير من الذنوب قائلاً: إياكم والذنوب! فإنها خطيرة، إياكم والذنوب وإن كانت في أعينكم صغيرة! فإن لها من الله طالبا، عن ابن عمر -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» رواه البخاري ومسلم. وقال -ﷺ-: «إياكم ومحقرات الذنوب! فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يُهلكنه». قال الله -تعالى-: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}.





خطبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



وَاجِبَاتُ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ

جاءت خطبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتاريخ ١ من ذي القعدة ١٤٤٢هـ - الموافق ٢٠٢١/٦/١١م متحدثة عن وَاجِبَات الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة؛ حيث بينت الخطبة أن الله -تعالى- خَلَقَ النَّاسَ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-، وَجَعَلَ مِنْهُمَا الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى لِيَسْتَمِرَّ النَّسْلُ وَالتَّكَاثُرُ بَيْنَ الْأَنَامِ، قَالَ -تعالى-: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ (النجم:٤٥-٤٦).

وبينت الخطبة أن الْمَرْأَة شَقِيقَةُ الرَّجُلِ فِي الْخَلْقِ وَالتَّكْوِين، وَشَرِيكَتُهُ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الدُّنْيَا وَالدِّين، وَنَظِيرَتُهُ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَاب، وَفِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَات، إِلَّا مَا اقْتَضَاهُ الِاخْتِلَافُ الْفِطْرِيُّ وَالتَّكْوِينُ النَّفْسِيُّ وَالْبَدَنِيُّ وَالذِّهْنِيُّ، فَسَوَّى الْإِسْلَامُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ حَيْثُ تَجِبُ التَّسْوِيَةُ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا حَيْثُ تَجِبُ التَّفْرِقَةُ، فَأَقَامَ حَيَاتَهُمَا عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِنْصَاف، وَنَفَى عَنْهَا الظُّلْمَ وَالتَّسَلُّطَ وَالْإِجْحَاف، قَالَ -سبحانه-: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء:٣٤)، وَعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ» (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ). وَقَدْ مَنَحَهَا الشَّرْعُ الْحُقُوقَ فَجَعَلَهَا هِبَةً رَبَّانِيَّةً، وَفَرَضَ عَلَيْهَا الْوَاجِبَاتِ فَصَيَّرَهَا مَسْؤُولِيَّةً شَرْعِيَّةً، فَوَجَبَ إِعطاؤُهَا حُقوقَهَا الْمَرْعِيَّةَ، وَلَزِمَهَا أَدَاءُ وَاجِبَاتِهَا الشَّرْعِيَّةِ.

مَنْزِلَة عَظِيمَة

وأضافت الخطبة أن المرأة منذ أن أَشْرَقَتْ شَمْسُ الرِّسَالَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَانْبَثَقَتْ بَوَادِرُ دَعْوَةِ الْحَقِّ الْإِلَهِيَّةِ ؛ حَتَّى بَادَرَت الْمَرْأَةُ إِلَى اعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ حُبًّا وَاشْتِيَاقًا، وَسَارَعَتْ إِلَى الْتِزَامِه عَقِيدَةً وَشَرِيعَةً وَعِلْمًا وَعَمَلًا وَأَخْلَاقًا، فَالْتَفَّت النِّسَاءُ حَوْلَ النَّبِيِّ -ﷺ-، فَكَانَ مِنْهُنَّ الْمُجَاهِدَاتُ الصَّادِقَاتُ، وَالصَّالِحَاتُ الْقَانِتَاتُ، وَالْأُمَّهَاتُ الْمُخْلِصَاتُ، وَالْمُرَبِّيَاتُ الْفُضْلَيَاتُ، وَأَضْحَى لِلْمَرْأَةِ مَنْزِلَتُهَا الْعَظِيمَةُ، وَأَصْبَحَ لَهَا مَكَانَتُهَا الْمَرْمُوقَةُ الْكَرِيمَةُ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ، لَا شَأْنَ لَهَا يُذْكَرُ، وَلَا تَارِيخَ لِكِيَانِهَا يُؤْثَرُ، فَأَنْعِمْ بِالْمَرْأَةِ الَّتِي أَضْحَتْ خَدِيجَةُ قُدْوَتَهَا، وَأَكْرِمْ بِهَا وَقَدْ أَمْسَتْ فَاطِمَةُ أُسْوَتَهَا، وَمِثْلُهُمَا أُمُّ طَلْحَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ، وَعَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَأَسْمَاءُ وَنسيبَةُ، قَالَ عُمَرُ -رضي الله عنه-: «وَاللهِ، إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ -تعالى- فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ» (أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ).

وَلَـو كَـانَ النِّسَاءُ كَـمَنْ فَقَدْنَا
لَفُضِّلَت النِّسَاءُ على الرِّجالِ
وَمَا التَّأنيثُ لاسمِ الشَّمسِ عيبٌ
وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْـرٌ للهلالِ

وَاجِبَات وَمَسْؤُولِيّات

وَهَكَذَا انْطَلَقَت الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ مُنْذُ فَجْرِ الْإِسْلَامِ تَنُوءُ بِأَعْبَاءِ دَعْوَتِهَا، وَتَضْطَلِعُ بِوَاجِبَاتِهَا وَمَسْؤُولِيَّتِهَا، إِنْ فِي بَيْتِهَا أَوْ فِي حَقْلِهَا أَوْ فِي مَيَادِينَ أُخْرَى، لَمْ

عَلَى المَرْأَةِ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى كِيَانِ المُجْتَمَعِ وَنِظَامِهِ بِالْتِزَامِ أَحْكَامِ الإِسْلَامِ، وَمُرَاعَاةِ أَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ العِظَامِ

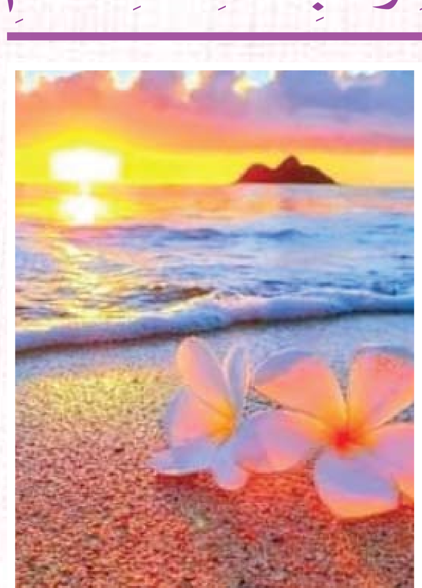
تَتَلَكَّأَ دُونَ القِيَامِ بِهَا وَأَدَاءِ أَمَانَتِهَا، وَلَمْ تَحُلْ عَقَبَاتٌ أَوْ عَرَاقِيلُ دُونَ المُضِيِّ نَحْوَ وِجْهَتِهَا، وَهَذَا هُوَ الوَاجِبُ عَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَنْ تَقُومَ أَوَّلًا بِأَدَاءِ وَاجِبِهَا تُجَاهَ رَبِّهَا جَلَّ وَعَلَا عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَطَاعَةً وَسُلُوكًا وَفِي كُلِّ الظُّرُوفِ، ثُمَّ نَحْوَ بَعْلِهَا مِنَ القِيَامِ بِحُقُوقِهِ وَطَاعَتِهِ بِالمَعْرُوفِ، قَالَ -سبحانه-: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة:٢٢٨).

واجبها نحو زوجها

وَمِنْ وَاجِبِهَا نَحْوَ زَوْجِهَا: أَنْ تُطِيعَهُ بِالمَعْرُوفِ، وَأَلَّا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَأَلَّا تَصُومَ نَافِلَةً- وَهُوَ حَاضِرٌ غَيْرُ مُسَافِرٍ- إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» (أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ). وَأَنْ تَحْفَظَ عِيَالَهُ مِنَ الضَّيَاعِ وَمَالَهُ مِنَ التَّبْدِيدِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ «الَّذِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ» (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ).

المَدْرَسَةُ الأُولَى

ثم أكدت الخطبة أنَّ مَا نِيطَ بِالمَرْأَةِ مِنْ وَاجِبَاتٍ هُوَ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ؛



فَإِنَّ وَاجِبَ المَرْأَةِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى رِعَايَةِ الزَّوْجِ وَمُرَاعَاةِ حُقُوقِهِ عَلَيْهَا، وَمِنْ أَوْلَى مَا يَلْزَمُ المَرْأَةَ أَنْ تَقُومَ بِهِ فِي مَمْلَكَتِهَا الصَّغِيرَةِ: أَنْ تَرْعَى أَوْلَادَهَا وَتُحْسِنَ تَرْبِيَتَهُمْ وَتَعْلِيمَهُمْ، فَهِيَ عِمَادُ البَيْتِ فِي العَمَلِ وَالتَّنْظِيمِ، وَالمَدْرَسَةُ الأُولَى فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ؛ فَكَمْ مِنْ بَيْتٍ رَفْرَفَتْ فَوْقَهُ رَايَاتُ السَّعَادَةِ وَالهَنَاءِ؛ لَمَّا أَحْسَنَتِ المَرْأَةُ التَّرْبِيَةَ وَالبِنَاءَ! وَكَمْ مِنْ بَيْتٍ عَاثَ فِيهِ الخَرَابُ، وَعَمَّ فِيهِ البَلَاءُ وَحَلَّ الشَّقَاءُ؛ حِينَمَا أَهْمَلَتِ المَرْأَةُ وَاجِبَاتِهَا

المَرْأَةُ شَقِيقَةُ الرَّجُلِ فِي الخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ وَنَظِيرَتُهُ فِي الثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَفِي الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ

الشَّرْعِيَّةَ، وَضَيَّعَتْ أَمَانَتَهَا الرَّبَّانِيَّةَ! عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ» (أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ).

المحافظة كيان المُجتمع

وَعَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى كِيَانِ المُجْتَمَعِ وَنِظَامِهِ العَامِّ مِنَ التَّصَدُّعِ وَالفَسَادِ، بِالْتِزَامِ أَحْكَامِ الإِسْلَامِ، وَمُرَاعَاةِ أَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ العِظَامِ، وَعَدَمِ الخُرُوجِ عَلَى ثَوَابِتِهِ وَمَبَادِئِهِ تَحْتَ أَيَّةِ ذَرِيعَةٍ، وَالنَّأْيِ عَنْ مَوَاطِنِ الرِّيبَةِ وَمَوَاضِعِ الفِتْنَةِ الشَّنِيعَةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِاللِّبَاسِ الشَّرْعِيِّ وَالأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ، إِذْ تَمَسُّكُهَا بِالإِسْلَامِ عَقِيدَةً وَشَرِيعَةً وَخُلُقًا وَعِلْمًا وَعَمَلًا فِي الحَيَاةِ: حِصْنٌ حَصِينٌ فِي حِمَايَةِ المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ مِنَ الفَسَادِ وَالانْفِلَاتِ، وَسَبِيلٌ لِلرُّقِيِّ الأَخْلَاقِيِّ وَالذَّوْقِ الأَدَبِيِّ، فَهِيَ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ فِي حِفْظِ تَوَازُنِ المُجْتَمَعِ مُجْتَمَعِ العِفَّةِ وَالطَّهَارَةِ، وَاللَّبِنَةُ الأَهَمُّ فِي صَرْحِ الأُمَّةِ صَرْحِ البِنَاءِ وَالحَضَارَةِ، وَالعَوْدَةِ بِالمُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ وَالنَّهْجِ القَوِيمِ. وَبِالجُمْلَةِ فَوَاجِبُ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ أَنْ تَقُومَ بِحَقِّ رَبِّهَا، ثُمَّ بِحَقِّ نَفْسِهَا وَزَوْجِهَا وَبَيْتِهَا وَمُجْتَمَعِهَا، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتِ» (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ).

السلفية منهج متكامل بين الماضي والحاضر والمستقبل

مركز سلف للبحوث والدراسات (٢)

ما زال حديثنا مستمرًا في الإجابة عن سؤال: هل تقف السلفية حجرَ عثرة أمام تقدّم الأمَّة الإسلامية؟ وقد ذكرنا أن بعض الناس يتخذ هذا الموضوع تكأةً للطَّعن في المنهج السلفي؛ وذلك لأنها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالماضي، ومكبَّلة به -بحسب زعمهم-، فهم يرون أنَّ ما يعيق تقدّم الأمة هو الارتباط بالسلف الصالح أو حتى بزمن الصحابة -رضوان الله عليهم-، ومتى ما استطعنا الانفكاكَ عن هذه العلاقة يمكننا أن نتقدَّم في كل الجوانب، وقد ذكرنا أربع نقاط في الرد على هذه الشبهة، وهي أنَّ التَّعلق بالماضي بعمومه ليس عيبًا، وأن السلفية تتمسك بالقطعيات، وأن التَّقدم لا يكون بالانقطاع عن الأصول، وأن السلفيَّة لم تناد يومًا بإقامة الحضارة المعاصرة في الأمور الحياتيَّة الدنيوية وفق الحياة الدنيوية في الماضي.

خامسًا: السلفية تدعو إلى الاجتهاد ونَبْذ التقليد

مما يبين عدم تمسُّك السلفيَّة بكل الماضي أنَّها تدعو إلى الاجتهاد والتجديد الصحيح في كثير من القضايا، ولا سيما تلك القضايا التي تتعلق بالمتغيرات الحياتيَّة، فلا شك أنَّ النصوص الشرعية القطعية محددة والوقائع لا تنحصر، فيتركون المجال مفتوحًا للمتخصص بأن يقدم رأيه وفق الأدلة العامة والقواعد الشرعية، يقول الشاطبي رحمه الله: «الوقائع في الوجود لا تنحصر؛ فلا يصح دخولها تحت الأدلَّة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بد من حدوث وقائع لا تكون منصوصًا على حكمها ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد، وعند ذلك فإمَّا أن يُترك الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضًا اتباع للهوى، وذلك كله فساد؛ فلا يكون بد من التَّوقف لا إلى غاية، وهو معنى تعطيل التكليف لزومًا، وهو مؤدٍّ إلى تكليف ما لا يطاق، فإذًا لا بد من الاجتهاد في كل زمان؛ لأن الوقائع المفروضة لا تختصُّ بزمان دون زمان، ومن يعرف السلفيَّة -قديمًا وحديثًا- يعرف أنَّها تدعو إلى الاجتهاد وفتح بابه، فعلماؤها من أكثر من يدعون إلى الاجتهاد ونبذ التقليد والجمود، ولا يختصُّ هذا الاجتهاد بالمسائل الشرعيَّة الخالصة، بل كثيرًا ما تناقش القضايا الحياتية الدنيوية في جانب تعلقها الديني.

سادسًا: ربط الحضارة والتَّقدم بالزمن ليس ربطًا صحيحًا

فمن الخطأ جعل كل الماضي وكل ما يتعلق به خطأ وتخلفًا لمجرد أنَّه من الماضي؛ فكم دولة كانت عظيمة في الماضي وقد تأخرت اليوم! بل حتى على مستوى الجانب الأخلاقي والقيمي، هل ما عليه الناس اليوم هو المعيار للأخلاق الصحيحة، أم أنَّ المعيار يجب أن يكون منضبطًا لا يختلف من زمن لآخر؟ ولا سيما وأن حاضر اليوم والذي يتحدثون عنه هو ماضي المستقبل، فهل يصبح ما نحن عليه الآن خطأ وتخلفًا



لمجرد أنه سيصبح ماضيًا بعد سنوات عدة ؟! إذًا فمعيار التَّخلّف أو التَّقدم ليس باعتبار الزمن فقط، بل باعتبارات أخرى عديدة حتى في الجانب المادي.

جعلوا التاريخ الغربي هو الحكم

وسبب هذا الربط لديهم هو أنَّهم جعلوا التاريخ الغربي هو الحكم، يقول د. مصطفى حلمي: «إنَّ الفكرة مرتبطة بالمراحل التَّاريخية التي مرَّ بها الغرب؛ إذ انتقل في تطوره المادي من العصور القديمة إلى الوسطى فالحديثة والمعاصرة، وفي ضوء هذا التَّقسيم واقتران كل مرحلة بظروفها أصبح الغربيُّ عندما ينظر إلى تاريخه يفزعه المدلول السلفي؛ لأنَّ مضمونه التاريخي والحضاري يلقي في قلبه الرُّعب، فالسلفية في نظر الإنسان هناك عمومًا تعوقه عن التقدم المادي في الصناعة والزراعة وحقول العلوم والمعارف المختلفة، فهل شاركت السلفية الإسلامية سلفية الغرب في هذه التصورات والاعتقادات الباطلة وعرقلة أي علم دنيوي كما كانت تفعله الكنيسة؟ والجواب أنَّ ذلك لم يكن؛ فمن الخطأ أن نقرن السلفيَّة الإسلامية بالسلفية الغربية -إن صحت التسمية- لمجرد أنَّهما مرتبطتان بالماضي، بل يجب الانطلاق في الحكم من خلال معرفة هذا الماضي ومدى عرقلته لقيام الحضارة».

سابعًا: هل فعلًا تخلصت الحداثة من الماضي؟

النَّاظر في أفكار الحداثيين يجد أن كثيرًا منها مجرد جرٍّ لحمولات ثقافية أخرى، وبثها بين المسلمين دون أن يكون هناك تجديدٌ حتى في موضوع التلاؤم بين الفكرة وروح الحضارة الإسلامية، فالتَّحرر من الماضي والانفكاك الكلِّي عنه مجرَّد وهْم وتخيل غير متحقق في الواقع، بل الغرب نفسه لم يثر على الماضي حين بنى حضارته الماديَّة المعاصرة، يقول محمد عزيز الحبابي: «ادَّعت الحركة الثَّقافية في عصر النهضة الأوروبيَّة أنَّها فرصة للحرية والتَّجديد، إلا أنَّها لم تكن تحررًا حقيقيًّا، فهي لم تتحرر من (النير الكليريكالي) في العصور الوسطى إلا لتخضع بطريقةٍ ما لثقافة اليونان والرومان (خطوة إلى الأمام وخطوتان إلى الوراء)... هكذا التجأ مفكرو النهضة إلى قداسة الكلاسيكيين لكي يسوغوا كل ما يبدعونه ويسبغوا عليه المشروعية»»، وكل ما فعله الحداثي هو أنَّه تنصَّل من التمسك بالشريعة الإسلامية وراح يتمسك بأعتاب ماضي أوروبا وحاضرها، وهذا يعترف به الجابري ويبينه فيقول: «إذا كان المصلح السَّلفي قد فكَّر في الإصلاح والتحرير بعقل ينتمي إلى الماضي العربي الإسلامي، ويتحرك ضمن إشكاليَّته، فإنَّ الليبرالي العربي قد بشَّر بالنَّهضة والتقدم بواسطة مُركّبات ذهنية تنتمي إلى الماضي والحاضر الأوروبي، ومركبات التقطها -كما يقول- من أفواه كلٍّ من (أبسن وشولز وفولتير وروسو وداروين وفرويد وماركس) وغيرهم من أقطاب الفكر الأوروبي الحديث والمعاصر، إنَّ الليبرالي العربيَّ هنا يسكت تمامًا عن الماضي العربي، فهو لا يدخل في اهتمامه بل يبعده بكل إصرار، فلا يوجد إذًا انعتاقٌ من الماضي، وإنما يوجد فقط اختلافٌ فيمن نتمسك بهم، فإمَّا الوحي المعصوم عند السلفية، وإما فتات أفكار غربية كما عند الحداثيين».

السلفية تدعو إلى الاجتهاد والتجديد الصحيح في كثير من القضايا ولا سيما تلك التي تتعلق بالمتغيرات الحياتيَّة

من الخطأ جعل كل ما يتعلق بالماضي خطأ وتخلفًا لمجرد أنَّه من الماضي

التعلق بالماضي ليس تهمة بل المنهج السليم هو الأخذ من الماضي لنبني عليه الحاضر والمستقبل

التعلق بالماضي ليس تهمة

وأخيرًا: فإن التعلق بالماضي ليست تهمة ينبغي التخلص منها، بل المنهج السليم المعتدل هو أن يأخذ الإنسان من ماضيه ليبني عليه حاضره ومستقبله في الجوانب كلها، والسلفية دعت إلى التمسك بالأصول والقطعيَّات، وفتحت باب الاجتهاد فيما سواها، مع عدم الأخذ بما يتعلق بالماضي، ولا سيما فيما يتعلق بالحضارة المادية، فالقول بأنها تقف حجر عثرة أمام التقدم والحضارة أمرٌ غير صحيح، بل العديد من المثقفين المتشبعين بالتُّراث وروحه تخطوا هذا الطَّرح الهزيل لقضيَّة التراث التي يرونها تتمثل في بعث روح حضاريّة تربط الحاضر بالماضي، وتؤكِّد الأصالة تأكيدها على المعاصرة، ورغم أنَّهم لا يؤمنون بشد العربة إلى الوراء ولا الالتزام الحرفي بجوانب الماضي، بل يؤكدون عوامل التَّقدم الحضارية، لكنهم يضعون إطارًا عامًّا للتَّطور يحكمه الوحي الإلهي الذي ينبغي أن يشكّل روح الحاضر ودستوره العام، كما كان في عصور الإسلام الذهبية، وهذا التيار يمثله الاتجاه السلفي، كل ما في الأمر أنَّ السلفية أكدت أنَّ الحضارة لا يمكن أن تكون متينةً صالحةً إلا إذا راعت قواطع الشريعة ومحكماتها، والدعوة إلى القطيعة مع هذه المحكمات هي دعوة إلى القطيعة مع الدين كله، وبناء حضارة خالية من القيم والأحكام الإسلامية، فهي إذًا حضارة أخرى لا يمكن أن تدعى أنَّها حضارة إسلامية.



حتى لا تشوه المفاهيم

م. سامح بسيوني

إن المتأمل في أحوال الأمَّة الإسلاميَّة الآن يجد تداعيا عجيبًا على المنهج السلفي وأتباعه في كل مكان، من أصحاب الأجندات الفكرية المختلفة التي تستهدف إبعاد الناس عن هذا المنهج الإصلاحي النقي، ووضع صورة ذهنية سيئة عنه عند الأجيال الحالية، والحرص على تشويهه عند الأجيال الناشئة بوصفه بأوصاف، منفرة كالتعصب والتحزب والجمود والتخلف والرجعية، وإهمال العقل والحط من قيمته مع الإغراق في المثالية والبعد عن الواقعية، واتهامه بالتأصيل للجماعات الصدامية التكفيرية وغيرها من التهم المعلبة الجاهزة التي يستخدمونها لضمان عدم انتشار هذا المنهج المبارك والعمل على اضمحلاله مستقبلا حتى لا يزاحمها على عقول الناس ونفوسهم مستغلين في ذلك جهل الكثير من الأجيال الحالية والناشئة بمعالم هذا المنهج السلفي الإصلاحي المبارك وقواعده وأصوله ونسبة نشأته.

معالم هذا المنهج وأصوله

لذلك فإن الحاجة ملحة لبيان معالم هذا المنهج وقواعده وأصوله للأسباب الآتية:

- بيان الصورة الحقيقية لهذا المنهج الفكري وهذه الدعوة الإصلاحية وإزاحة هذا الضباب وهذه الشبهات التي يطرحها المتحاملون على السلفية والسلفيين حتى صار هناك ما يسمى – ولا سيما في هذه الأوقات– «سلفوّبيا».
- الناس اليوم أحوج ما يكونون إلى التمسك بالمنهج السلفي، والتزام هدي السلف في العقيدة والعبادات والعادات والأخلاق والسلوكيات، وبالعلم النافع والعمل الصالح، والتعرف على موقف المنهج السلفي من القضايا التي تقوم عليها حياة الناس المعاصرة حتى تعود الأمة إلى علوها وقيادتها للبشرية.
- لأهمية رسم حدود وإظهار معالم هذا المنهج القويم –ولاسيما مع ما نراه من سهولة ادعاء الكثير الانتساب إليه وهم أبعد الناس عنه– وذلك حتى يلزم الرجال به ولا يلزم المنهج بتصرفات بعض الرجال غير المنضبطة، فلا تختلط الأوراق والمفاهيم وتكثر الدعاوى والادعاءات بلا بينات ولا براهين.

أولا مفهوم المنهج السلفي

مصطلح المنهج السلفي ينقسم إلى حدين: الأول: وهو المنهج، والثاني: السلفي وهو نسبة إلى السلف.

مفهوم المنهج

فالمنهج لغة: هو الطريق أو الطريقة، واصطلاحا، هو الطريق الواضح الذي يُتبع للوصول إلى غاية محدودة، أو هو مجموعة القواعد والضوابط التي تمثل طريقة معينة للوصول للغاية المرجوة.

مفهوم السلف

لغة: يطلق على كل ما مضى وتقدم، وسلف الرجل: أباؤه المتقدمون وقرابته الذين فوقه في السن والفضل، كما قال –تعالى-: {فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة:٢٧٥)، واصطلاحًا، هم: الرسول –ﷺ– وأصحابه –رضوان الله عليهم– والتابعون من بعدهم ومن تبعهم بإحسان ملتزما بما كانوا عليه من الهدى والإيمان والدين الكامل.

مفهوم السلفي

وعلى هذا فالسلفي، هو من التزم بما كان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان اعتقادا وفهماً للدين وعملاً به ودعوةً إليه، وليس بسلفي من خالف هديهم وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

السلفية منهج

والسلفية ليست حكرًا على فئة من الناس

دون غيرهم؛ لأنها هي الإسلام نفسه كتابًا وسنةً بفهم القرون الخيرية من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم في كل زمان ومكان، وهي كذلك ليست فترة زمنية محدودة ولا مرحلة تاريخية منتهية ولا هي مرادفة لمصطلح الأصولية fundamentalism الذي يروج له في الغرب مرادفا للوحشية والجمود والانغلاق أمام تيار التجديد عندهم في القرون الوسطى، فهذا لا ينطبق على السلفية لا من قريب ولا من بعيد.

لماذا التمسك بفهم الصحابة والسلف؟

وهنا يأتي دائما السؤال المكرر من المناوئين: لماذا التمسك بفهم الصحابة أو السلف كما تزعمون؟ أليس الصحابة رجالا لهم عقول كعقولنا، بل قد جاء الكثير من بعدهم يوصفون بالذكاء ورجاحة العقل في التاريخ الإسلامي، فلماذا التمسك بفهم الصحابة -رضوان الله عليهم- دون غيرهم؟

والإجابة عن ذلك مهمة ويسيرة بإذن الله على من تأمل وصدق في بحثه عن الحق وهي من وجوه عدة:

الصحابة أعلم الأمة بكتاب الله -تعالى

الصحابة -رضوان الله عليهم- هم أعلم الأمة بكتاب الله -تعالى- ومراد الله -تعالى- في كتابه؛ فعليهم نزل القرآن غضًا طريًا، يوضح لهم الصواب من أفعالهم في أثناء وقوعها، ويعالج مشكلاتهم الواقعة في حياتهم، وهم من استمعوا إلى بيان النبي -ﷺ- لما أشكل عليهم فهمه من مراد الله -تعالى- في كتابه، كما أنهم هم أعلم الأمة بسنة النبي -ﷺ- فهم حفظة أقواله ومشاهدو التطبيق العملي للنبي -ﷺ- في أعماله وتوجيهاته التي أمر بها -ﷺ.

هم الفئة المباركة

الصحابة هم هذه الفئة المباركة الوحيدة التي زكاها الله -عز وجل- وزكى إيمانها وفهمها، وأمر باتباع طريقتها لتحقيق الهداية والفلاح، قال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال ٧٤)، وقال -تعالى- مخاطبا الصحابة -رضوان الله عليهم-: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ (البقرة:١٣٧).

السلفي هو من التزم بما كان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان اعتقادا وفهماً للدين وعملاً به ودعوةً إليه

زكاهم النبي -ﷺ

الصحابة هم من زكاهم النبي -ﷺ- وأمرنا باتباع طريقتهم عند الاختلاف في فهم الأمور، قال -ﷺ-: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي» (رواه الشيخان)، وقال أيضًا -ﷺ-: «.. فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المهديين، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وإياكم ومحدثات الأمور» (حديث حسن صحيح)، فهذا توجيه صريح من النبي -ﷺ- للأمة جمعاء أن تلتزم فهم أصحاب النبي -ﷺ- عند وقوع الاختلاف، بل جاء الأمر بالتمسك الشديد بذلك مشبهًا الأمر في شدة التمسك به بالعض على النواجذ.

هم صمام أمان هذه الأمة

إن هؤلاء الصحب الكرام هم صمام أمان هذه الأمة، فكان انقضاء جيلهم بداية لظهور البدع والفتن، كما أن ترك طريقة فهمهم للكتاب والسنة سبب في وقوع الفتن والمحن، والدليل على ذلك هو قول النبي -ﷺ-: «....... النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» رواه مسلم.

السلفية هي الإسلام نفسه كتابًا وسنةً بفهم سلف الأمة وليست حكرًا على فئة من الناس دون غيرهم

أشد الناس تمسكًا بهدي النبي -ﷺ

إنهم -رضوان الله عليهم- أشد الناس تمسكًا بما أخذوه عن النبي -ﷺ- من كتاب وسنه ومتابعة له، لا يفرقون في العمل بين صغير وكبير أو بين واجب ومستحب.

كانوا أهل اجتهاد ونظر

إنهم -رضوان الله عليهم- كانوا أهل اجتهاد ونظر يملكون أدوات الاجتهاد (العلم التفصيلي بالكتاب والسنة - ليس مجرد معرفة أسباب النزول بل معايشتها بأنفسهم - ورجاحة العقل والفراسة والفطنة والعلم باللغة والقدرة على الاستنباط)، فتوفرت عندهم، واكتملت لديهم بما لا يكون عند غيرهم.

أعلم الناس باللغة الفصيحة

إنهم أعلم الناس باللغة الفصيحة، يعلمون مشهورها وغريبها وأساليبها البلاغية، ولم يعرفوا لحن اللسان، ولم تلحقهم شوائب العجم، فهم أفهم الناس بالمعنى المراد من اللفظ.

إجماع الأمة على إمامتهم

إجماع الأمة جيلاً بعد جيل على جلالتهم وإمامتهم والشهادة لهم بالعدالة والصلاح، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنا فهو حسن وما رأوه سيئا فهو عند الله سيء»، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما-: «كان أصحاب رسول الله -ﷺ- خير هذه الأمة قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأقلهم تكلفًا، اختارهم الله -عز وجل- لصحبة نبيه ونقل دينه».

أعظم من بذل الغالي والنفيس

إنهم -رضوان الله عليهم- أعظم من بذل الغالي والنفيس، بل وضحّوا اختيارا بأرواحهم وأموالهم في سبيل نشر هذا الدين وإيصاله للعالمين، فهم أحرص الناس على إبلاغه للخلق طبقًا لمراد الله على ما فهموه من رسول الله بلا تغيير ولا تبديل.





النصر بين الحقيقة والأوهـــــام

لؤي الصمادي
كاتب وباحث أردني

إن من أسباب النجاح في الحياة العلم والإرادة والعزيمة الصادقة، فلن تنجح حتى تدرس، ولن تتفوق حتى تجتهد، ولن تنال شيئًا من الآثار إلا بسلوك أسبابه، وهذه سُنّة الله الكونية، أما العيش في الوهم، فلن يهَبَك إلا المزيدَ من الأوهام.

أول أسباب العلاج

إن أكثر شباب الأمة الإسلامية اليوم يعيش حالة من الوهم؛ لأنّ الوهمَ حلمٌ لذيذ، لا يَحتاج كثيرًا من العناء، وهم يتعاملون بهذه العقلية الحالمة مع قضية كبيرة بحجم انتصار الأمة وعزّتها، فيظلّون يردّدون: سينصرنا الله، الله معنا، إلى آخر ذلك، مع أنّ كلام الله -تعالى- واضحٌ في كتابه، فهو يجعل النّصر والعزة والمعيّة والتمكين للمؤمنين، لا للمسلمين، وهذا عين الحكمة الرّبانية.

المسلم والمؤمن

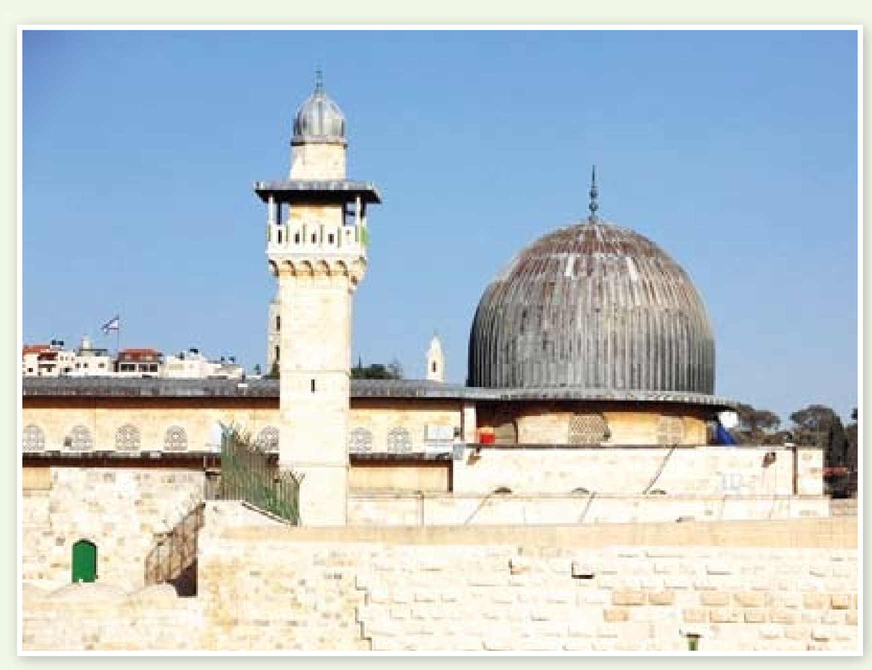
ولفظ (المسلم) يشمل من قال لا إله إلا الله، وصلّى، حتى لو كانَ فاسقًا عاصيًا، لكنّ لفظ (المؤمن) لا يشمل الفاسق، بل هو لمن أسلم وعمل بالفرائض واجتنب المحرّمات، وهو الذي لا يحبّ أحدًا كحبّ الله، ولا يخشى أحدًا كخشية الله، ولا يتوكلّ إلا على الله، وليس كلّ من ظنّ نفسه مؤمنًا يكون كذلك، كما قال -تعالى-: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: ١٤-١٥).

الوعد بالنّصر والعزة

وأنتَ إذا نظرتَ في كتاب الله -تعالى- وجدتَ أنّ الوعد بالنّصر والعزة معلّق بوصف المؤمن، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقال -تعالى-: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال -تعالى-: ﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾، وقال -تعالى-: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾، وقال -تعالى-: ﴿وأنّ الله مع المؤمنين﴾، وقال -تعالى-: ﴿كذلك حقًّا علينا ننج المؤمنين﴾، وقال -تعالى-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

النّصر ليس لكلّ مسلم

وهذا يعني أنّ النّصر ليس لكلّ مسلم، حتى لو كانَ عدوُّه كافرًا، فقد يكون انتصارُ الكافر على المسلم الفاسق هو مقتضى الحكمة الربّانية، امتحانًا وتمحيصًا، وتعجيلًا للعقوبة الدنيوية



الوعد بالنّصر والعزة والتمكين معلّق في القرآن الكريم بوصف المؤمن وليس لكلِّ مسلم

النّصر ليس بعيدًا أو صعبًا لكنّ قُربه بقُرب تحقق شروطه فلا يُنالَ بالأوهام والأحلام

الاستغفار والتوبة سبيل النّصر الأول وهو واجب الأمةِ كلّها

بدل العقوبة الأخرويّة، لكنّ هذا يعني أيضًا أنّ النّصر ليس مَنالًا بعيدًا أو صعبًا، بل هو قريبٌ، كما قال -تعالى-: ﴿ألا إنّ نصر الله قريب﴾، لكنّ قُربَه بقُربِ شرطه اليسير وسُرعةِ أمر الله، لا أنّه يُنال بالأوهام والأحلام.

شروط النصر

وقول العلماء: إنّ نصر الأمّة لا يتحقّق حتّى تتحقّق شروطُه، يفهمه كثيرٌ من النّاس على أنّه تعليقٌ بأمرٍ عسير بعيد المنال، وأنّها شروط تعجيزيّة، مع أنّه ليس بيننا وبينَ تحصيله إلا توبةٌ عامّةٌ صادقة، واستقامةٌ على أمر الله، فإذا النّصر قريب سهل المنال، وهذه التوبة تتلخّص في أمور أربعة:

(١) تعظيم الله -تعالى- وتحقيق العبوديّة والاستسلام له وحده، وتعظيمُ شريعته، واتّباع رسوله، والإنكارُ على كلّ من يخالف ذلك ممن هم بيننا.

(٢) امتثال أمر الله والانقياد له، وذلك بفعل الواجبات، وأهمّها الصّلاة، واجتناب المحرّمات، وأفظعها الاستخفاف بالرّب ودينه، واستحلال الكبائر واستمراؤها والاستهانةُ بها.

(٣) موالاة المؤمنين الصالحين، والبراءة من أعداء الله الكافرين.

(٤) الالتجاء إلى الله والتعلّق به وحده، ونَفض القلب من التعلّق بالخَلق.

(٥) مسؤولية كلّ فرد

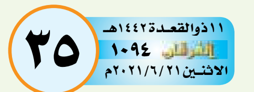
وهذه التوبةُ العامّة مسؤولية كلّ فرد في خاصّة نفسه وأقرب النّاس منه، ولنا أن نشبّهها بمسؤولية القيام في الصفّ في الصّلاة، فالإمام إذا قال: «استووا»، لم ينتظر أحدٌ استواءَ النّاس حتّى يستوي، بل يشتغل كلّ مصلّ بنفسه ثم بمن عن جانبيه، فإذا الصفُّ كلّه قد استقام.

ما أيسرَ هذا الشّرط!

وما أيسرَ هذا الشّرط على من عقل وأَنِف من هذه المَهانة التي صِرنا إليها اليوم بذنوبنا، ومن عجيب ما وقع في تاريخ الأمة مما يدلّ على قرب نصر الله وسهولة تحقيقه، ما كانَ في غزو التّتار بلادَ الشّام، في رأس القرن الثامن الهجري، وكانَ النّاس أوّلَ الأمر غير محقّقين لأسباب النّصر، حتّى كانَ فيهم من يستغيث بغير الله ويشرك به، فمُنوا بهزيمة نكراءَ من التّتر؛ فقامَ فيهم شيخ الإسلامِ ابن تيميّة -رحمه الله- يعلّمهم ويصحّح عقائدهم، ويأمرهم بدعاء الله وحده، حتّى استجابوا وتابوا، فلمّا رأى ابن تيميّة عودتَهم، أيقن بالنّصر، ليقينه بسنّة الله وصِدقِ وعده، حتّى كانَ يُقسم: «والله سوف ننتصر!» فأشار عليه بعض النّاس ألا يَجزم ويُقسم، وأن يقول: إن شاء الله، فكانَ يقول: «إن شاء الله تحقيقًا، لا تعليقًا»، وقد انتصروا فعلًا في معركة شقحب، وهُزِم التّتار وولّوا الدُّبُر.

من يقبل النصيحة؟

فهل من مسلم يسمع النّصيحة، ولا يُقابلها بالتّهكم والتنقّص والنّقد بدعوى مثل: «ليس هذا وقته»؟ بل هذا -والله- وقتُه، وآكَدُ أوقاته، فالاستغفار والتوبة سبيل النّصر الأول، وهو واجب الأمة كلّها، ونجمع بين التوبة لله والاعتماد عليه، كما قال الله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾، فنقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، ونقول: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، والله غالبٌ على أمره، ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون.



دروس مستفادة
من صلح الحديبية (٥)

عقيدة المنافقين الفاسدة

م. أحمد الشحات
كاتب وباحث مصري

الحكم والفوائد التي تضمنها صلح الحديبية أكبر وأجَلّ من أن يحيط بها أحد إلا الله الذي أحكم أسبابها، وقد سطَّر القرآن هذه الدروس والفوائد في ثنايا سورة الفتح؛ حيث أنزل الله -عز وجل- هذه السورة فيما كان من أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- وأمر الكافرين، وجعل ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه، كما روي عن ابن مسعود، -رضي الله عنه-، وغيره أنه قال: إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية، واليوم مع الدرس الخامس من الدروس المستفادة من هذا الصلح وهو: أعذار المنافقين مفضوحة وقلوبهم ميتة

أبى المتقاعسون أن يخرجوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لسوء ظنهم بالله، ولتوقعهم الشر والضرر بالمؤمنين الذاهبين إلى قريش في عقر دارها، ولكنَّ المتقاعسين لن يكشفوا عن حقيقة ما في قلوبهم، وسوف يتعللون بأعذار مختلفة، ويسوقون مسوغات واهية، وليس هناك أسهل من العذر الذى يوسوس به الشيطان لكل متقاعس عن نصرة دينه وأمته: {شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا} ولو صح هذا عذراً، لما قام لنصرة دين الله أحد، وإلا فمن من الناس ليس عنده مال وأهل؟!

فضحهم الله أمام أنفسهم

لذا فقد فضحهم الله أمام أنفسهم وأمام المؤمنين، وكشف حقيقة ما تضمره قلوبهم، قال -تعالى-: {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (الفتح: ١١)، يقول الشيخ السعدى: «يذم -تعالى- المتخلفين عن رسوله، في الجهاد في سبيله، من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله -تعالى-، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن الخروج في الجهاد، وأنهم طلبوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يستغفر لهم.

إقرارهم على أنفسهم بالذنب

قال الله -تعالى-: {يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} فإنَّ طلبهم الاستغفار من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم بالذنب، وأنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعا لهم؛ لأنهم قد تابوا وأنابوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء.

فظنوا {أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا} أي: إنهم سيقتلون ويستأصلون، ولم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم، ويطمئنون إليه، حتى استحكم، وسبب ذلك أمران: أحدهما: أنهم كانوا {قَوْمًا بُورًا} أي: هلكى، لا خير فيهم، فلو كان فيهم خير لم يكن هذا في قلوبهم. والثاني: ضعف إيمانهم ويقينهم بوعد الله، ونصر دينه، وإعلاء كلمته، ولهذا قال: {وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} أي: فإنه كافر مستحق للعقاب، {فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا}».

كشف الله سترهم

ما أصعب أن يكشف الله ستره عن عبده فيفضح سريرته، ويُظهر باطنه، ويتركه كالعريان لا ثوب يستره، ولا رداء يخفي سوأته! فالمنافقون أضمروا سوء الظن بالله، وامتلأت قلوبهم بالباطل المهلك، فتصوروا أن المسلمين لن يعودوا إلى أهليهم بالمدينة مرة أخرى، وقالوا قولتهم المشؤومة: يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة، وقتلوا أصحابه فيقاتلهم!

قلوبهم خربة كالأرض البور

لقد ظنوا ظنهم، وزين هذا الظن في قلوبهم، حتى لم يروا غيره، ولم يفكروا في سواه، فهو عندهم يقين جازم وعقيدة راسخة لا تحتمل أن تتخلف أو تتبدل، وهذا الظن السيء ناشئ من أن قلوبهم خربة كالأرض البور التي لا حياة فيها، وماذا يُنتظر من الأرض البور إلا الهلاك والفقر والجدب، وهكذا كانت قلوبهم خالية من الإيمان بالله ومن ثمراته ولوازمه.

بين قلوب الصحابة وقلوب المنافقين

وسبحان الله الحكم العدل! ففي الوقت الذي امتلأ فيه قلب الصحابة سكينة وطمأنينة ورضى ويقينا وثقة، كانت قلوب المنافقين خالية من أسباب الحياة، بل هي بالفعل ميتة وعطبة وهالكة، وهكذا يظن المنافقون وأشباههم في كل زمان ومكان أن المؤمنين لا ينقلبون إلى أهليهم أبدا إذا هم واجهوا الباطل المنتفش بقوته الظاهرة، ومن ثم يتجنبون المؤمنين حبا للسلامة، ويتوقعون في كل لحظة أن يستأصلوا وأن تنتهي دعوتهم فيأخذون هم بالأحوط ويبعدون عن طريقهم المحفوف بالمهالك، ولكن الله يخيب ظنهم ويبدل المواقف والأحوال بتدبيره -سبحانه-، وبحسب ميزان القوى الحقيقية.

ما الذي يخشى منه المنافقون؟

ثم ما الذي يخشى منه المنافقون؟ إنهم بلا شك يخشون القتل، ويخشون أن يصيبهم أذى، وهم قد غفلوا عن أن الله يملك النفع والضر، وأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه لو أراد أن يصيبهم بأذى فمن الذي يعصمه منهم، ومن الذي يحول بينهم وبين حصول النفع إذا كتب الله لهم النصر أو الظفر، أما الموت فهو أجل مقدر محتوم لن يقدمه القتال ولن يؤخره التخلف والقعود، كما قال الله في موطن آخر ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران: ١٥٤).

عقيدة المنافقين الفاسدة دفعتهم للتخلف عن النبي ﷺ ظنا منهم أن الاسلام سيزول وأن الكفر سيظهر

من دروس صلح الحديبية أن النفوس الضعيفة لا تقوى على التكاليف الشاقة

عقيدة المنافقين

وكما أن يقين المؤمنين أن الإسلام سينتصر، فالمنافقون عقيدتهم أن الاسلام سيضمحل، وهذه العقيدة الفاسدة دفعتهم للتخلف عن النبي -ﷺ- ظناً منهم أن الاسلام سيزول وأن الكفر سيظهر، ومع ذلك ورغم أنهم في أسوأ حال، وأقبح منظر فإنهم يرون أنفسهم في نعمة عظيمة يحسدهم الناس عليها، لأنهم يظنون أن دوافعهم الخبيثة ونواياهم السيئة موجودة عند كل الناس كما هي عندهم، وأن مقاييسهم الفاسدة الكاسدة هي المقاييس التي يتعامل بها البشر جميعهم.

كشف المنافقين وفضحهم

ومزيد من الكشف والفضح لهؤلاء المتخلفين يقول -تعالى-: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الفتح: ١٥)، يقول ابن كثير: " يقول -تعالى- مخبرا عن الأعراب الذين تخلفوا عن النبي -ﷺ- في غزوة الحديبية؛ إذ ذهب النبي -ﷺ- وأصحابه إلى خيبر يفتتحونها، أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم، وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم، فأمر الله رسوله -ﷺ- ألا يأذن لهم في ذلك، معاقبة لهم من جنس ذنبهم. فإن الله -تعالى- قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعا وقدرا؛ ولهذا قال: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾".

ما أصعب أن يكشف الله ستره عن عبده فيفضح سريرته ويُظهر باطنه!

قلوبهم مريضة

وتأمل في دنو نفوس هؤلاء القوم كيف أنهم رضوا بأن يخرجوا مع المسلمين في مؤخرة الجيش في مقام الأتباع، لمعرفتهم أن في هذا الخروج نفعا عائدا عليهم، فهم راضون متقبلون لذلك في نظير أن ينالوا شيئاً من المغنم، فقلوبهم المريضة لا تفهم إلا اللغة المادية، ولا تهتم إلا بالزينة والمتاع، وليس عندهم مسحة خجل أو حياء تزجرهم عن إظهار هذا التناقض الفج، فهم بالأمس القريب امتنعوا من الخروج خشية أن يصابوا بمكروه أو أذى، بينما هم اليوم لا يتورعون عن طلب الخروج عندما أمنوا على أنفسهم وقوع الضرر.

النفوس الضعيفة

والحقيقة أن النفوس الضعيفة لا تقوى على التكاليف الشاقة، كما قال -تعالى-: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ١٦)، فالجاهلون بحكمة الله -عز وجل- في تقديره للأمور، وأنه -عز وجل- لا يظلم مثقال ذرة، لا يُسعفهم ذكاؤهم في فهم ما يدور حولهم، فالله -عز وجل- قدر أن يكون جزاء المتخلفين الطامعين أن يحرموا، وأن يكون جزاء الطائعين المتجردين أن يعطوا من فضل الله، وأن يختصوا بالمغنم حين يقدره الله، ولكنهم يريدون المغنم بلا بذل جهد، ويطلبون الجزاء الوفير مع الاستمرار في الراحة والسكون والدعة.

السعادة
في السّنّة النّبويّة

ضبط النفس
من أسباب السعادة التي دعت إليها السنة النبوية

د. سندس عادل العبيد
عضو هيئة التدريس بجامعة الكويت - كلية الشريعة

ما زال حديثنا مستمرا عن السعادة في السنة النبوية، واليوم نتحدث عن ضبط النفس، ودفعها نحو الإيجابية والتفاؤل بوصفهما أحد أهم أسباب السعادة التي حثت عليها السنة النبوية، والسّنّة النبوية مليئة بالنماذج التي تدعو إلى ضبط النفس، ودفعها نحو الإيجابية والتفاؤل، ومن ذلك قول النبي -ﷺ-: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»، فالشدة والقوة لا تقاس باندفاع الانفعالات وشدة الغضب، وإنما تقاس بقدرة الإنسان على ضبط نفسه والتحكم بإدارة سلوكه نحو الصواب.

وسائل ضبط النفس

والحصول على السعادة إنما يتعلق بقدرة الإنسان على ضبط النفس وتطويرها، فمتى امتلك الإرادة استطاع قيادة نفسه إلى طريق السواء والإيجابية، ونذكر من ذلك ما يلي:

التفكير الإيجابي

الشخص الإيجابي شخص سعيد، حيث إنه يتصف بالرؤية المشرقة، والمقدرة على إدارة الأزمات بمشاعر إيجابية متفائلة، وهو يتسم -فضلا عما يميزه من سلوك التفاؤل والرضا والازدهار- بتعدد استراتيجيات المواجهة الإيجابية والضبط الشخصي للمشاعر والأفكار السلبية، عند مواجهة مختلف التوترات وضغوط الحياة.

عشر خصال سلوكية

وهناك عشر خصال سلوكية يتصف بها الشخص ذو التفكير الإيجابي، وهي: (التفاؤل، والإيمان، والترابط، والشجاعة، والثقة، والتصميم، والصبر، والصدق، والهدوء، والتركيز)، وهذه الخصال هي نقطة القوة التي تواجه المواقف والتحديات، وتساعدك في تحقيق أغراضك وأهدافك، قال النبي -ﷺ-: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»، في الحديث مدح للمؤمن الإيجابي المتفائل الذي ينتفع من الخير أينما وجده ويحرص عليه، وهو دائما في إقبال واستعانة بالله -تعالى- في كل أمور الحياة، وقد مدح النبي -ﷺ- النظرة الإيجابية التي يختص بها المؤمن لإيمانه القوي: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ»، ومن هذه الأحاديث يمكن استنباط أسس التفكير الإيجابي في السّنّة النبوية:

(١) الاعتقاد بأفكار إيجابية (الإيمان)

إن الإيمان هو أصل السعادة في الدارين، وفي التصديق الجازم بأركانه مع التطبيق العملي يجد العبد إيجابية في أفكاره واعتقاداته، ويشعر بتفاؤل ورغبة في الإنجاز والنجاح، وفي الالتزام بتعاليم الإسلام كل الإيجابية، ففي قراءة القرآن الكريم يكسب العبد انفعالات إيجابية وتأثيرات وجدانية إيجابية، ويشعر بسكينة ووقار وسعادة كبيرة تفوق الوصف، وعند ترديد الأذكار الإسلامية والأدعية في كل يوم بكلمات طيبات وتسبيح وذكر لله -تعالى- واستغفار وتوكل واستعانة وغيرها من الأمور التي تشبع روح الإنسان بالتفكير الإيجابي والمرونة الحياتية.

منهج نبوي

ففي ترديد المؤمن لهذا الدعاء النبوي مثلا: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»، يشعر المؤمن بسكينة وإيجابية وخير في هذه الحياة، وتمتلئ نظرته للحياة بتفاؤل وأمل لحسن ظنه بالله -سبحانه وتعالى-، والسّنّة النبوية مليئة بالأدعية والأذكار والإيجابية. والتفكير الإيجابي -غالبا- يتضمن محاولة أن تعتقد في مجموعة من العبارات المبهجة، وقد «كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-

للهوية الإسلامية الإيجابية الأثر الكبير في الوصول إلى السعادة الحقيقية

التواضع والعفو والإحسان والأمانة قيمٌ سلوكيّة تحقق السعادة في الدنيا والآخرة

يَتَفَاءَلُ، وَيُعْجِبُهُ الاسْمُ الْحَسَنُ»، وقال -ﷺ- في ذم السلبية والتشاؤم «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ»، فالتفاؤل والتفكير بنظرة إيجابية منهج نبوي، وهو أحد سمات الشخصية السعيدة في السّنّة النبوية.

والتفكير الإيجابي من أهم عناصر السعادة، فإذا أردنا أن نغير أسلوبنا فيجب أن يكون ذلك من خلال عقلنا الباطن، وهذا يعني أنه يجب أن نختار أفكارًا إيجابية جديدة، ونغذيه مرارا وتكرارا؛ لأن الأفكار المتكررة ترسخ في العقل اللاواعي، والمعتقدات هي المسؤولة عن أفكارنا وهي من يشكل مشاعرنا التي بدورها تشكل سلوكنا.

وكل التطورات التي تحدث في حياتك تبدأ بتطوير تصورك لشخصيتك في البداية، وتؤثر صورك الداخلية على انفعالاتك وسلوكياتك ومواقفك النفسية، بل حتى على الطريقة التي يستجيب بها لك الآخرين. إن تكوين تصور إيجابي للذات يعد جانبًا لا غنى عنه لتغيير تفكيرك وتغيير حياتك.

الاستجابة للأحداث والأشخاص

وتعد أغلب أفكارك واستجاباتك للأحداث والأشخاص في حياتك محددة وفقا لمسلماتك الأساسية، وهي تلك الأفكار والمفاهيم والآراء والاستنتاجات التي توصلت إليها بوصفها محصلة لمدركاتك وتجاربك، وهي لا تقتصر على صورتك الذاتية فحسب، بل أيضا على فلسفتك في الحياة، وكلما كنت أكثر صلابة واقتناعا بما تفعله بشأن مسلماتك الأساسية تحكمت وتوقعت هذه المسلمات بما تفعله، وتقوله، وتشعر به.

الهوية الإسلامية

فللهوية الإسلامية الإيجابية الأثر الكبير في الوصول إلى السعادة الحقيقية، وقد جاءت الأحاديث النبوية لترسخ الهوية الإيجابية، وربطت كثيرا من أعمال الإنسان بها، فمن ذلك قوله -ﷺ-:» الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

(٢) التعامل بإيجابية مع الماضي والحاضر والمستقبل

(الرضا والتوكل وحسن الظن بالله -تعالى)

الإسلام جعل التفاؤل مرتبطا بالثقة في الله والرضا بقضائه، فلن يصيب الإنسان إلا ما كتبه الله؛ فلا يستبطئ الرزق، ولا يستعجل النجاح، ولا يقلق على المستقبل، وقد علّم النبي -ﷺ- ابن عباس -رضي الله عنهما- كلمات مباركات هي منهج حياة، وهي سعادة وبركة للعبد، حيث قال -ﷺ-: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، فكلّما كان العبد من الله أقرب، كان أسعد وأكثر بركة، وأكثر إيجابية، والإيمان بالقدر يجعل الإنسان قادرًا على التحكم في انفعالاته، في حالتي الفرح والاكتئاب بطريقة إيجابية.

الانفعالات الإيجابية

وعندما تسيطر على الإنسان الانفعالات الإيجابية يظهر مستوى مرتفع من الإبداع، وعلى المدى

الإسلام جعل التفاؤل مرتبطا بالثقة في الله والرضا بقضائه

البعيد يمكن أن تتطور المرونة النفسية العامة لدى هذا الإنسان؛ مما يمكنه من التعامل الإيجابي والمواجهة الإيجابية لأي ضغوط أو منغصات حياتية، وتتضمن دراسة الانفعالات الإيجابية الوعي بالحالة الداخلية للفرد، وكيف يمكن ترجمة حالة الوعي هذه إلى ردود أفعال وسلوكيات إيجابية، وتشمل النظرة الإيجابية لحياة الإنسان بأبعادها الماضي والحاضر والمستقبل ما يلي:

- الانفعالات الإيجابية حول الماضي هي: الرضا والقناعة والإنجاز والفخر والإخلاص والصفاء، والصفح والنسيان.
- الانفعالات الإيجابية حول المستقبل: تتضمن التفاؤل والأمل والإيمان والثقة.
- أما الانفعالات الإيجابية حول الحاضر: فتتضمن البهجة والسكينة واللذة والانفعال الأكثر أهمية وهو التدفق وهي الانفعالات التي يعنيها معظم الناس عندما يتحدثون عادة عن السعادة، وإن كانت السعادة في حقيقتها أكبر من ذلك، وهي تشمل الملذات الحسية والمسرات.

وفي قول النبي -ﷺ-: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»، تدريب نفسي على التفكير الإيجابي، وتكوين مناعة نفسية قوية لدى المؤمن.

قوة الشخصية

فالنبي -ﷺ- امتدح قوة الشخصية، ودعا إلى التقبل والرضا للأمور كلها، «وفي كل خير»، والتفاؤل والتوكل على الله -تعالى- «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»، فيحرص المؤمن على ما ينفعه من ماضيه وحاضره ومستقبله، ويستعين بالله مقدما على العمل والحياة، وفي قوله -ﷺ-: «فلا تقل لو أني فعلت» فقه كبير وإشارة نفسية دقيقة، فلا ينبغي للإنسان التحسر على ما مضى وفات، بل يطوي صفحة الماضي إلا ما كان فيها من نفع وخير، فإن(لو) من مداخل الشيطان، وهي من مداخل العناء النفسي والقلق والحزن والهم، وينبغي على المتفائل أن يقترب من مشكلاته بأسلوب (كيف) وليس بأسلوب (لو).

الضوابط الفقهية للأعمال الوقفية

ولاية النّاظر أقوى من ولاية القاضي

كتب: د. عيسى القدومي

باب الوقف من الأبواب المهمة التي ينبغي تقرير ضوابطه، ذلك أن عامة أحكام الوقف اجتهادية؛ فلا مناص من الانطلاق في تقريرها من أصول الشريعة العامة الضابطة لباب المصالح والمنافع على وجه الخصوص، ثم من القواعد الفقهية الكلية ثم يترجم ذلك كله على هيئة ضوابط خاصة في باب الوقف، وهذا ما نتناوله في هذه السلسلة، واليوم مع الضوابط المتعلّقة بالولاية على الوقف ومع الضابط الخامس، وهو: ولاية النّاظر أقوى من ولاية القاضي.

معنى الضابط

ولاية النّاظر وحقّه في التصرّف لمصلحة الوقف، والأخذ باجتهاده وتقديره، الأصل أنّه مقدّم على غيره من أهل الولايات العامّة، كالقاضي فمن فوقه، وذلك ما لم يخالف نصوص الشّرع، أو شروط الواقف، أو يضرّ بمصلحة الوقف.

والولاية: «من الوَلْي، وهو القرب، فهي قَرَابة حكميّة حاصلةٌ من العتق أو من المُوالاة، وهي قيام العبد بالحقّ عند الفناءِ عن نفسه، وفي الشرع: تنفيذُ القول على الآخر، شاء الآخر أو أبَى»، وهي معنىً شرعيٌّ سيأتي تعريفه، يتفرّع عنه ويُبنى عليه حقّ التصرُّف في الشيء، سواء التصرُّف المباشر في ذات الشيء، كالولاية على المال، أم الإقرار على الشيء بالنّيابة كالإقرار بجناية المجنون من وليّه، أو النّيابة عنه في الاستحقاق، كالقبض نيابة عن البنت في النّكاح، ونحو ذلك.

والوَلاية -بالفتح-: النُّصرة، والوِلاية -بالكسر-: السُّلطة والتمكُّن، وهذا المعنى هو الذي يدور عليه هذا الضابط.

والولاية في الجملة تنقسم إلى:

الولاية الخاصّة: كولاية الأب على ابنته، وولاية وصيّ اليتيم عليه، وولاية الوكيل على ما وُكِّل فيه، أو ناظر الوقف.

والولاية العامّة: كولاية الإمام الأعظم، ونُوَّابه، ووُكَلائه، وولاية القُضاة، ونحو ذلك، وكلاهما يكون ولاية على النّفس، أو المال، أو على كلَيْهما.

وفي هذا المجال يقول الفقهاء: الولاية الخاصة أقوى من الولاية العامة، وهي قاعدة مشهورة، يتفرّع عنها هذا الضّابط الخاصّ بباب الوقف، لأنّ الولاية الخاصّة نفسها يمكن أن تنقسم إلى مراتب بعضُها أقلّ اختصاصاً أو أكثر من الأخرى بالمُوَلَّى عليه، فيجري التقديم والمفاضلة بين مراتب مستحقِّي الولاية بناءً على هذا الضابط.

وتنقسم الولاية على الوقْف خاصّة، من ناحية أخرى، إلى قسمين:

ولاية أصليّة: تثبُتُ للواقف، أو الموقوف عليه، أو القاضي.

وولاية فرعيّة: تثبُتُ بموجب شرط، أو تفويض، أو توكيل، أو وصيّة، أو إقرار ممّن يملكُه، ومنها ولاية النّاظر.

وقد اختلف أهل العلم اختلافاً واسعاً جدًّا في الوجه الذي تثبت به كلّ واحدة من هذه الولايات، وفي سبب استحقاقها، بناءً على اختلافهم في مسائل أصليّة تتعلّق بالوقف، كالقول في العين الموقوفة، هل تخرج من ملك الواقف؟! فإن خرجت، هل تنتقل إلى ملك الله أم ملك الموقوف عليه؟ وبناءً على ذلك يتقرّر انقطاع ولاية الواقف على تلك العين أو لا ينقطع، إلى غير ذلك من الخلافات الكثيرة المؤثّرة.

إلّا أنّ من المتفق عليه بين الفقهاء، أنّ رعاية شرط الواقف لا بدّ منه، بل قد نزّلوه منزلة النّصّ من الشّارع، إلّا في صور تُستثنى كما بيّنّاه سابقاً، وعليه فإنّ الأصل في ناظر الوقْف إذا كان قد اكتسب الولاية من شرط الواقف أن لا يُزال عنها، ويبقى تصرُّفه على الوقف هو الأولى بالاعتبار والاعتماد من أيّ تصرُّف، ولو كان تصرُّف القاضي.

«وكلما كانت الولاية مرتبطة بشيء أخصّ ممّا فوقها بسبب ارتباطها به وحده، كانت أقوى تأثيراً في ذلك الشيء مما فوقها من العموم، وتكون الولاية العامّة كأنها انفكّت عما خُصصت له الولاية الخاصة، ولم يبق لها إلا الإشراف؛ إذ القوّة بحسب الخصوصية لا الرتبة».

تطبيقات القاعدة

١- إذا أجّر الناظر شيئًا من الوقف بأجرة المثل، أو بما ليس فيه غبنٌ فاحشٌ، فليس لأحد أن يفسخ تلك الإجارة بدعوى أنّ غيرها خيرٌ منها، لأنّ ولاية الحاكم أضعف من ولاية النّاظر.

٢- لا يملك القاضي عزلَ النّاظر المُوَلّى على الوقْف من قِبَل الواقف، بل ولو كان النّاظر مولًّى من قِبَل الحاكم نفسه، إلا بعد ثبوت الخيانة من النّاظر أو إضراره بالمصلحة.

٣- يجوز أن يوكل الناظر من يقوم ببعض مهامّ الوقف، ويجعل له من جُعْله شيئاً، وله أن يعزل وكيله ويستبدل به غيره.

٤- إذا لم يعيِّن الواقف ناظراً على وقفه ثم مات، فيحقّ للقاضي أن ينصب قيِّماً ليرعى شؤون ذلك الوقف.

٥- إذا قرّر القاضي رجلاً ليكون ناظراً للوقف، ثمّ قرر السلطان العامّ رجلاً آخر لنفس المكان، فالعبرة بتقرير القاضي؛ لأنّ ولايته أخصّ من ولاية السلطان.

صفات الله وآلاؤه

فالح عبدالله العجمي

الكلام عن صفات الله وآلائه عظيم، والكلام عن العظيم عظيم، يقول ابن القيم -رحمه الله- واصفا الله: «هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، هو -تبارك وتعالى- أحق من ذكر، وأحق من عبد، وأحق من حمد، وأولى من شكر، وأنصر من ابتغي، وأجود من سئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قصد، وأعدل من انتقم، حكمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزته، ومنعه عن حكمته، هو الملك الذي لا شريك له، والفرد فلا ند له، والغني فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له ولا صاحبة، وكل ملك زائل إلا ملكه، وكل ظل خالص إلا ظله، وكل فضل منقطع إلا فضله، وكل شيء هالك إلا وجهه، لن يطاع إلا بإذنه، ولن يعصى إلا بعلمه، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وسجل الآثار، والغيب عنده شهادة، وكتب الآجال، القلوب له مفضية، والسر عنده علانية، عطاؤه كلام، وعذابه كلام، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعاً: «يَطْوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يَأْخُذُهُنّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يَطْوِي الأَرَضِينَ السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟». رواه مسلم.

وفي رواية: «حين يميت الله من في السموات والأرض إلا بإذنه يقول: لمن الملك اليوم، فيقول: لله الواحد القهار، فيرمي بالسموات والأرض ويردهما ويقول أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟.

إنه الله -جل جلاله- يسأله من في السماوات والأرض، كل يوم هو في شأن، يغفر ذنبا، ويفرج هما، ويكشف كربا، ويجبر كسيرا، ويغني فقيرا، ويعلم جاهلا، ويهدي ضالا، ويرشد حيران، ويغيث لهفان، ويشبع جائعا، ويكسو عاريا، ويشفي مريضا، ويعافي مبتلى، ويجزي محسنا، وينصر مظلوما، ويقبل تائبا، ويقصم جبارا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة، ويرفع أقواما، ويضع آخرين، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام.

رفق المرأة في بيتها

الرفق هو الخير كله، كما في حديث جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «من يحرم الرفق يحرم الخير كُله» رواه مسلم، والرفق خلق عظيم، وما وُجدَ في شيء إلا حسنه وزينه، قال رسول الله -ﷺ-: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» (رواه مسلم)، ورفق المرأة في بيتها من أهم أنواع الرفق، مع الزوج والأولاد خصوصا، فعن النبي -ﷺ- قال: «إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق» صحيح الجامع، وعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «يا عائشة ارْفُقي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلَّهم على باب الرِّفق»، ومن أشكال الرفق التي يجب على المسلمة أن تتحلى بها في بيتها ما يلي:

يُعنى الإسلامُ عنايةً عظمى ببناءِ الأسرةِ وصونِها من أي سهام توجه إليها، ذلكم أن الأسرة قاعدة المجتمع، ومدرسة الأجيال، وسبيلٌ للعفة، وصونٌ للشهوة، وبناء الأسرة في الإسلام متين القواعد، عميق الجذور، لا ينبغي أن نفرط فيه أو نهمل العناية به بأي طريقة من الطرائق؛ لذلك تُعنى هذه الصفحة بشؤون الأسرة المسلمة.

الرفق بالزوج

من أنواع رفق المرأة بزوجها أن تعمل على طاعته وتمتثل أمره، إلّا ما كان في معصية الله -تعالى-، ومن رفقها به أن تُقيم مع زوجها في المسكن الذي أمنها فيه على نفسها ومالها، ولا تخرج منه بغير إذنه، وعليها أن تكون محسنة لأهله رفيقة بهم، ومن أهم أنواع الرفق بالزوج ألا ترهقه بكثرة الطلبات والمصاريف المادية سواء عند الزواج أم بعده، فقد قال النبي -ﷺ-: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة»، رواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، كما أن من أنواع الرفق بالزوج التخفيف عنه ما يكابده من مشاق الحياة، وأن تكون له ناصحة أمينة، وأن تشاركه في مسؤولية البيت.

الرفق بالأولاد

محبّة الأولاد قضية فطرية جبلت القلوب عليها، وهي الباعث على تلك المشاعر الرّقيقة، والعواطف الجيّاشة من الأبوين تجاههم، وتتمثّل هذه المحبة بتقديم الحماية والرعاية لهم، والرّحمة والرّأفة والرفق بهم، والشفقة والعطف عليهم، ولها في تربية النشء وتكوينه أفضل النتائج وأعظم الآثار، وقد حفلت كتب السُّنّة بالأحاديث الكثيرة التي تحث على الرفق بالأولاد والعناية بهم في شتى المجالات وفي كل المراحل، ومن ذلك:

توفير الحنان للطّفل بالضّمّ والتقبيل

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قَبَّل رسول الله -ﷺ- الحسن بن علي وعنده الأَقْرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأَقْرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا! فنظر إليه رسول الله -ﷺ- ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم» رواه البخاري ومسلم.

الرفق في توجيههم

ومن الرفق بالأولاد الرفق واللين في توجيههم، فقد يستجيب الطفل ويفعل ما أمرته به تحت وطأة الخوف والترهيب، وبذلك سيتعود ألا يفعل شيئًا إلا والعصا على ظهره، ومتى ارتفعت أو غابت، انقلب على وجهه، ونحن لا نريد مثل هذه النماذج، نحن نريد من يتربى على القيم والأخلاق، ويتمثل بها، سواء كان في حضرتنا، أم في غيبتنا، وهذا لا يتأتّى إلا بالرفق واللين والحب، والفرق لا يعني التساهل معهم فيما إذا فعلوا شيئًا مما حرّمه الله -تعالى- بدعوى أنهم صغار لا يَعون ولا يدركون، أو بزعم أنهم لا يُفرقون بين الحلال والحرام، ولا بين ما هو صحيح أو خطأ من الأقوال والأفعال.

فتاوى نسائية

● سُئل الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله-: ما المعنى الحقيقي لكلمة (الحجاب) في الإسلام؟

فأجاب -رحمه الله-: الحجاب في الإسلام بيَّنه القرآن وهو: أن المرأة المسلمة ينبغي أن تكون عفيفة، وأن تكون ذات مروءة، وأن تكون بعيدة عن مواطن الشبه، بعيدة عن اختلاطها بالرجال الأجانب، هذا هو معنى الحجاب فضلا عن ستر وجهها ويديها عن الرجال الأجانب؛ لأن محاسنها وجمالها في وجهها، والحجاب وسيلة، والغاية من تلك الوسيلة هو محافظة المرأة على نفسها والبقاء على مروءتها وعفافها وإبعادها عن مواطن الشبه، وألا تفتتن بغيرها وألا يفتتن غيرها بها، فإن محاسنها وجمالها كله في وجهها، والله أعلم.

تحقيق السعادة الزوجية

قال الله -تعالى-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم:٢١)، المودة والرحمة من أسباب تحقق السعادة الزوجية في بيوتنا، وتستطيع كل زوجة -مهما كانت إمكاناتها المادية أو المعنوية- أن تمنح حياتها الزوجية تلك السعادة، وذلك من خلال نظرة منصفة لزوجها، فالزوج -مهما كان- هو بشر، تنطبق عليه كل الصفات البشرية، وأهمها النقص والملل من الروتين وحب التغيير.



وعندما نحكم على زوج أنه ذو خلق فاضل، فهذا لا يعني أنه كامل الأوصاف، ولكنه تغلب عليه الصفات الفاضلة عن غيرها من الصفات الأخرى، والعكس صحيح ولكن في النهاية لا يمكن أن تخلو شخصية أي إنسان من جانب فاضل يميزها نتفق أو نختلف في حجمه، ولكن التباين يظل في مساحتها مقابل الأخلاق التي يتبناها عموما، ولكيفية التعامل مع الزوج حتى نحقق هذه السعادة إليك هذه الوصايا:

١- ألا تضع الزوجة أخطاء الزوج تحت الميكروسكوب، وإلا فإن المسافة بينهما ستزداد.

٢- عدم التركيز على القضايا التي يكون فيها الرفض هو الرد المتوقع.

٣- البعد عن سوء الظن.

٤- كشف المشاعر الداخلية للزوجة في جو من الصراحة والصدق الممزوجين بالاحترام.

٥- حل المشكلات في بدايتها يعطي الفرصة لحلها بسرعة قبل حدوث تراكمات في نفس كل منكما.

٦- تقبلي كل ما لا تستطيعين تغييره بالود والرحمة.

٧- التغافل ثم التغافل ثم التغافل! قال الإمام أحمد بن حنبل: «تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل».

٨- الاستعانة بالله في كل الأمور من قبل ومن بعد.

٩- الدعاء في السجود والأوقات الفاضلة للزوج والأولاد.

الصحابية أروى بنت كريز توأمة عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول -صلى الله عليه وسلم-

هي أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة العبشمية القرشية الكنانية، أمها أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية القرشية الكنانية، عمة النبي -صلى الله عليه وسلم-. ويقال: إنها توأمة عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول -صلى الله عليه وسلم-، تزوجها عفان بن أبي العاص بن أمية، فولدت له عثمان بن عفان، وآمنة، ثم تزوجها عقبة بن أبي معيط، فولدت له الوليد وعمارة وخالد وأم كلثوم وأم حكيم وهند.

إسلامها

منذ أن ظهر الدين الإسلامي وأسلم ابنها عثمان لم تُنكر ذلك عليه عندما اشتكى عقبة بن أبي معيط عثمان لأمه وهي غير مسلمة، قال له: من ينصر محمدا دوننا؟ فأموالنا وأنفسنا فداء له، وبهذا الايثار العظيم حرصت أروى على الإسلام، وحرص ابنها عثمان على إسلامها.

حياتها

هاجرت أروى بنت كريز إلى المدينة بعد ابنتها أم كلثوم بنت عقبة، وبايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكانت من أعظم وأجلّ الصحابيات، فيكفيها فخرا أنها أم عثمان بن عفان صاحب الهجرتين، والمصلي إلى القبلتين، وذو النورين. وقد عاشت وشهدت أحداث العهد المكي والمدني إلى أن اشتعل الرأس شيبا.

وفاتها

لم تزل بالمدينة حتى ماتت في خلافة ابنها عثمان بن عفان، وتوفيت وعمرها تسعون سنة، ودفنها ابنها بالبقيع.



من فتاوى كبار العلماء

التحفيز على الدعاء الجماعي

■ **تنشر رسائل الجوال حول الدعاء الجماعي في بعض النوازل، ما حكم ذلك أحسن الله إليكم؟**

● المطلوب منا الدعوة إلى التمسك بالسنة، والعمل بها، نقول: قصرنا في صلاتنا؛ فما اقتدينا الاقتداء التام بنبينا؛ فنحث الناس على التأسي بنبيهم في صلاتهم، وفي لباسهم، وفي مأكلهم، وفي مشربهم، وفي تعاملهم مع الآخرين، لنأخذ من حلمه، وأناته، وصدقه، وإخلاصه، ونصحه منهجاً نسير عليه. هذا المطلوب منا.

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -حفظه الله

التجمل لا ينافي الزهد

■ **هل التجمل ولبس الملابس الفاخرة والتطيب بأنواع الطيب الفاخر ينافي الزهد؟**

● الإنسان يتوسط، إذا أعطاه الله نعمة، فما يسرف في اللباس والطيب والمراكب، ولا يكون كهيئة الفقراء؛ فيجحد نعمة الله عليه. بل يتوسط في أمره، وخير الأمور الوسط، بين البخل والتبذير، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ (الفرقان: ٦٧)، وسط بين الإقتار والبخل وبين الإسراف.

(العلامة صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله)

تحقيق بركة المال

■ **كيف يحقق المسلم بركة المال؟**

● يحقق بركة المال، إذا أخذ المال بحقه، من غير غش ولا خداع ولا كذب ولا تزوير، وصرفه بحقه وأدى حق الله منه، فإنه يحقق البركة فيه، ولم يسرف ولم يبذر فإنه من أسباب البركة.

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -حفظه الله

التسامح والتنازل عن الواجبات الشرعية

■ **رجل يدّعي جواز التسامح عن الواجبات الشرعية بدعوى مراعاة المصالح والمفاسد، ويستدل على ذلك بترك المرأة الحائض للصلاة والصيام مع أنهما من أركان الإسلام، وكذلك ترك الوضوء على من لم يجد الماء، فما صحة هذه الاستدلالات؟**

● هذا استدلال باطل، وإلحاد في كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- وهذا الرجل يجب أن يتوب إلى الله، يعلن توبته عن هذا الخوض في أحكام الله -عز وجل- بغير علم أو بغير بصيرة أو بهوى، لا يجوز له الكلام هذا، لو أُخِذَ بقوله هذا لغُيِّر الدين كله، ويقال إن المصلحة تقتضي هذا، لا تصلوا؛ لأن المصلحة تقتضي ألا تصلوا حتى لا يعيّركم الكفار، مايجوز هذا الأمر أبدًا، وهذا يجب أن يتوب إلى الله -عز وجل- ويرجع للحق والصواب.

(العلامة صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله)

أسباب صلاح الباطن

■ **عرفنا كيفية نصلح ظواهرنا فكيف نصلح سرائرنا؟**

● كل امرئ حسيب نفسه في إصلاح باطنه، لكن من أسباب إصلاح الباطن: أن يكون الإنسان دائماً مع الله، يكثر ذكره واستغفاره، وعند المعاصي يخاف منه، وعند الطاعات يطمع في رحمته، المهم أن يعلق قلبه بالله -عز وجل-، لا بالدنيا وزخارفها، ولذاتها، وشهواتها، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران:١٤-١٥).

الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله

عدم اهتمام بعض الدعوات بالتوحيد

■ **عدم اهتمام بعض الدعوات بالتوحيد، هل يكون مدعاة للتحذير منهم، لأنهم يقولون: نحن في بيئة لا يوجد فيها شرك؛ فنحن قد كفينا هذه الأمر؟**

● التوحيد أصل الأصول،وأساس الملة والدين، والله ذكر به نبيه فقال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، مع أنه الداعي إلى توحيد الله، فلا بد من تذكير التوحيد، ولا بد للدعاة أن يجعلوا التوحيد نصب أعينهم في أحاديثهم كلها قلت أو كثرت، وألا يهملوا التوحيد من ألسنتهم أبداً؛ فإن عدم الاهتمام به قد يجعله ناقصاً في أنظار بعض الناس وهذا خطأ، بل ينبغي ويتأكد على الدعاة أن يبدؤوا بالتوحيد في كل أحوالهم، ورحم الله شيخنا عبد العزيز ابن باز -غفر الله له- لقد سمعناه في محاضراته يجعل التوحيد مفتاح دعوته وأحاديثه ورسائل كثيرة له، ومحاضرات ألقيت كلها في التوحيد؛ فرسالته العقيدة السليمة وما يضادها، محاضرة قيمة في قرابة مئة صفحة، ألقاها في النادي الأدبي بمكة، وصارت رسالة ذات قدر وشأن ألقاها في التوحيد، وخصص محاضرته لها، بل كتبه - رحمه الله- التي سمعناها وقرأناها وسمعنا منه محاضراته كلها تهتم بالتوحيد دعوة وتعليماً وتدريساً، وهذا هو خلق أهل العلم والفضل، وأئمة الدعوة -رحمهم الله- الاهتمام بالتوحيد والعناية به، وينبغي لنا إذا رأينا من أي طائفة من إخواننا كسلاً في التوحيد، أن ننصحهم، ونتعاون ونوجههم، ونبين لهم أن الاهتمام بهذا التوحيد من أجل الأمور.

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -حفظه الله

دفع شبهة اتخاذ قبر الرسول - ﷺ - مسجدا

■ **ما بالنا نتخذ من قبر الرسول مسجداً؟**

● هل اتخذنا من قبر الرسول مسجداً؟ هذا سؤال تلبيس وتشبيه على الناس، يريد هؤلاء القوم الذين يبنون المساجد على قبورهم أو يدفنون موتاهم في مساجدهم أن يلبسوا على العامة، إن قبر الرسول -عليه الصلاة والسلام- منفرد في حجرة منفصلة، فالمسجد لم يبن على قبر الرسول لا شك؛ لأن المسجد سابقٌ على القبر، الرسول صلى في المسجد، والرسول -ﷺ- لم يدفن في المسجد، إذاً انتفت الشبهة، المسجد لم يبن على القبر، والرسول -ﷺ- لم يدفن في المسجد، وإنما دفن في حجرة عائشة -رضي الله عنها-، ثم لما زيد في المسجد في عام (٩٤هـ) أدخلوا الحجرة، ولعل هذا من نعمة الله -عز وجل-؛ لأن وجودها في المسجد أحمى لها مما لو كانت خارج المسجد، وأحمى للأمة من الشرك مما لو كانت خارج المسجد، ولهذا تقول عائشة لما ذكرت بناء الأمم السابقة على قبور أنبيائهم قالت: «ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»، وعلى هذا فلا شبهة في ذلك إطلاقاً، والأمر واضح ولله الحمد، ولذا نرى المسلمين منذ أدخلت الحجرة في المسجد إلى اليوم أقروا ذلك.

الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-

الاقتصاد الإسلامي

■ **علام يقوم الاقتصاد الإسلامي؟**

● يقوم الاقتصاد الإسلامي على المتاجرة الشرعية، باستثمار الأموال فيما أحله الله -تعالى-، وفق قواعد المعاملات الشرعية وضوابطها المبنية على أصل الإباحة والحل في المعاملات، واجتناب كل ما حرمه الله منها كالربا، قال الله -تعالى-: {وأحل الله البيع وحرم الربا} وقال -تعالى-: {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون}.

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)

شرط التراضي في البيع

■ **هل يجوز البيع بغير تراض؟**

● لا يجوز البيع بغير تراض، قال الله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ} الآية، إلا إذا كان ذلك بحق، كبيع الرهون من جهة المحكمة.

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)

أوراق صحفية

حفظ المكانة الرفيعة للمرأة

سالم الناشي
رئيس تحرير مجلة الفرقان
٢٠٢١/٦/٢١م

• لقد بين ديننا العظيم مكانة المرأة، ونقلها إلى عالم جديد من المشاركة في المجتمع، وأعطاها من الحقوق لكي تشعر بالاستقرار والأمان، كما هيأ لها الظروف كي تكون أما وزوجة؛ «فقد جاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أبُوكَ». وقال -ﷺ- عن النفقة على الزوجة: «مَهْما أنْفَقْتَ فَهو لكَ صَدَقَةٌ، حتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُها في فِي امْرَأَتِكَ». لقد ذلل الإسلام للمرأة كل السبل ليكون عطاؤها ودورها كبيرا وواضحا.

• ففي الوقت الذي منحها الإسلام حق الدعوة إلى الله، فلها أن تبين دين الله، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ كما الرجل، وهي وظيفة الأنبياء العالية، نجد - قبل الإسلام- مجرد قدومها إلى الحياة شراً ينبغي نفيه والبعد عنه، قال -تعالى-: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (النحل:٥٨-٥٩)، فتُحرم الفتاة أبسط حقوقها وهو حقّ الحياة.

• وفي الوقت الذي جعل لها الإسلام ملكية خاصة، وجعل لها مطلق التصرف في مالها، وجعلها شريكة الذكر في الميراث، وأوجب لها على زوجها حقوقا كثيرة، وأوجب على أبيها وقراباتها الإنفاق عليها عند حاجتها، كانت - قبل الإسلام - مجرد متاع كأثاث البيت. وفي الإسلام لها مثل الرجل في العدل والثواب، قال الله -تعالى-: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل: ٩٧)، وأكد الرسول -ﷺ- ذلك بقوله: «إنَّما هنَّ شقائقُ الرِّجالِ».

ومن معالم حفظ المكانة الرفيعة للمرأة أن دعا الإسلام إلى أساسيات ينبغي على المجتمع المسلم التزامها وتأكيدها منها:

• أن البيت هو المكان الأساسي للمرأة؛ قال الله -عز وجل- في كتابه الكريم: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} (الأحزاب:٣٣)، أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، فإن الخروج قد يكون فيه ما يضايق المرأة، ويعوقها عن مهمتها العظيمة، وهي: الحفاظ على كيان الأسرة.

• عدم إظهار الزينة لغير مستحقها؛ لذا قال الله -عز وجل-: {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ} (الأحزاب:٣٣)، وهو إظهار ما لا ينبغي إظهاره من الزينة، كما كان في المجتمع الجاهلي، فالواجب على المرأة حفظ نفسها عن الأجانب، بلبس الحجاب الشرعي طاعة لله ولرسوله، وحذرا مما نهى الله عنه ورسوله، وحرصا على سلامة دينها ونفسها. وهذه هي دعوة الله لنبيه -ﷺ-: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (الأحزاب:٥٩). والجلابيب ما تضعه المرأة على رأسها وبدنها حتى لا يظهر منها شيء لغير محرمها، وهذا من العفاف الذي يحبه الله -تبارك وتعالى-، قال -عز وجل-: {وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (النور:٦٠).

• لبس الحجاب الشرعي؛ قال -عز وجل- في أمهات المؤمنين: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} (الأحزاب:٥٣)، وذلك لإقامة المجتمع النقي الصافي المحافظ، فالطهارة هنا للجميع رجالا ونساء، ولا سيما إن لبست المرأة حجابها الشرعي. فالتحجب فيه طهارة وزكاة وسلامة للجميع.

• غض البصر؛ قال -عز وجل-: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} (النور:٣١) فمدخل العلاقة في المجتمع بين الرجل والمرأة الأجنبيين عن بعضهما هو الاحترام المتبادل، وأوله عدم النظر إلى الآخر بعين الرغبة والاحتياج.

• ونحن اليوم في أمس الحاجة إلى تحصين المجتمع، وأن نكتفي بما شرعه الله وأباحه لنا، ففي ذلك النجاة والسلامة والمحافظة على المجتمع.









قناة الخير الثقافية
قسم الإنتاج الفني

قسم الإنتاج الفني متخصص في إنتاج البرامج التلفزيونية والفلاشات الإعلامية والجرافيك ومتخصص تصوير وتسجيل (الدورات العلمية ودروس المساجد) التي تقيمها الجمعية واللجان التابعة لها.

وحدة الإنتاج المرئي:

- وحدة التصوير والمونتاج متخصص في إنتاج البرامج التلفزيونية والإذاعية.
- وحدة بث وتشغيل قناة الخير الثقافية و تشغيل ومتابعة السوشيال ميديا الخاصة بالقسم (توتير وإنستجرام والفيس بوك واليوتيوب وصفحة القناة.
- تصوير المحاضرات والدروس وفعاليات الجمعية واللجان التابعة لها.



وحدة الإنتاج الصوتي:

- الاستديو الصوتي : يقوم الاستديو الصوتي بتسجيل الاصدارات الصوتية (القرآن الكريم - المحاضرات والدورس الخاصة بالقسم والجمعية واللجان التابعة لها وكبار علماء السلف في العالم الاسلامي) بتقنية صوتيه عالمية من خلال أجهزة وكمبيوترات مجهزة للمونتاج.
- الأرشيف الرقمي: نسخ وطباعة CD و DVD وتحويل الأشرطة القديمة إلي ملفات رقمية لإعادة نشرة من جديد ورفعها على المواقع الالكترونية.



25362528 - 25362529



جمعية صندوق إعانة المرضى
Patients Helping Fund Society
الوقف الصحي
الخيـري
صدقة جارية
يدوم أجرها
عطاؤكم
أجر وعافية
phfskuwait phfkw @phfkw phf www.phf.org.kw 18 99 000